الإسلام

في نظر أعلام الغرب

تأليف

حسين عبد الله باسلامة

(عضو مجلس الشوري بمكة)

ومؤلف كتاب حياة سيد العرب ، وتاريخ النهضة الاسلامية ، مع العلم والمدنية



قيمته نصف ريال

المطبعة الشرقية بجدة ١٣٥٣/١١/١٥

بسم الله الرحمن الرحيم



وبه نستعين

الحمد لله مدبر الكائنات ، والصلاة والسلام على نبى الرحمة ، ورسول الهدى والداعى لدين الحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى جاء بنظام العالم والأمم وبالمدينة الراقية ، والعمران البهج الذى مبناه على العدل والحضارة النضرة الرائقة والحرية الطاهرة النقية ، والاجتماع الذى لا تشوبه الفوضى والسياسة البريئة من كل مكر ، وخديعة ، ومواربة ، ومداهنة ، وتضليل والمنقذ للبشر من الهمجية ، والتوحش ، والدعارة ، وفساد الأخلاق وعلى آله وصحبه الذين سلكوا سبيله ، واستضاؤا بنوره ، وضحوا حياتهم فى نصرة الحق ، واقامة العدل حتى اسسوا دعائم الحضارة النضرة على انقاض الفوضى البائدة ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، وفى كل حدب وصوب ، اين ماحلوا وارتحلوا .

المقدمة

اما بعد فبما اني قدرأيت سيل الالحاد والتشكيك أخذ يتسرب الى أفئدة بعض الناشئة الاسلامية ، وتيار الحيرة والغباوة ابتدأ يجترف عقول البسطاء وقصار المدارك من الناس، وصار بعض من قلد الملاحدة والمشككين تقليدا أعمى يتفضفض ببعض الكلمات التى تلقاها كتلقي (الببغاء) وامتلاء دماغه بها امتلاء الاسطوانة من كتب الملاحدة ،وهو لايدرى ماهى الحقيقة ولايفهم شيئامن قواعد الايمان الصحيح ثم أخذيرفع عقيرته بما تلقاه من غيران يدرك مقاصدهم وانما أراد أن يثبت للعالم أجمع أنه على جهل عظيم ، وكفر صريح ، والحاد ممقوت ، فمن الكلمات التى يتفوهون بها (ماذاعمل محمد من المدنيـة والعمران، ولووجد محمد فى هذا العصر الذى هوعصر الحرية والتنوروالمدنية ، ماذا كان يعمل ؟ وهل يستطيع أن يعمل شيئا ؟ وان ماجاء به محمد فى ذلك العصر يتناسب مع عقول أولئك الاعراب الجهلاء ، وانه لايصلح لهذا العصر الذى قدبلغ أهله أرقى مايتصوره العقل من الحضارة والمدنية والعمران) وغير ذلك من الكلمات الجوفاء الدالة على تعمق القائلين بها الى أبعدمدى فى الجهل ، والحيرة ، والكفر ، والالحاد . حتى من شدة تعمقهم أصبحوا بعيدين عن تصور ما جاء به سيد البشر ، ومنقذ العالم من الهمجية والفوضى ﷺ ، وماعمله من الخير العميم لكل من نور الله بصيرته وحيث أن هؤلاء ومن على شاكلتهم فى نظر كل عاقل بصير أحقر

من ان يتصدى للرد عليهم ، أو يلتفت الى ترهاتهم ، ولم آت هنا بما أتيت به ردا عليهم ، وانما دعانى الى تحرير هذه الوريقات هو الحرص على بعض الناشئة الاسلامية التى قدرمتهم الاقدار فى المدارس والاندية والمجتمعات التى يتولى التدريس والمحاضرة فيها امثال هؤلاء ومن على شاكلتهم فى البلدان التى قد أعمى أهلها التفرنج ولأجل ان يكون النشء على علم تام بما عمله المنقذ العظيم ورسول الرحمة الكبير ﷺ فقد ألفت كتاب (حياة سيد العرب ، وتاريخ النهضة الاسلامية مع العلم والمدنية) فى أربعة أجزاء ، وتابعته بتاريخ الخلفاء الراشدين فى أربعة اجزاء وكذلك تاريخ خلفاء بنى أمية ومعهم ابن الزبير فى أربعة أجزاء ، ثم بتاريخ خلفاء بنى العباس فى أربعة أجزاء ، وملوك الطوائف فى أربعة أجزاء ولم اضمنها سوى السياسة والاجتماع فقط ، وتركت باقى ماجاء به سيد العرب من التشريع ، والفقه ، والمعجزات ، والتوحيد ، والحكم ، والمواعظ ، والطب ، والفلك ، وما فى معنى ذلك ، حيث قد صدر فيها مما دبجه يراع جهابذة العلماء مئات الآلاف من الأجزاء والمجلدات وهى كفيلة بما تضمنته مما يسد حاجة كافة البشر .

وقد صغته بما اصطفيته من اصح المصادر التى دبجها يراع أبطال الكتاب ، والمؤلفين ، والمصنفين ، الذين هم اعلام الاسلام من مفسرين ومحدثين ، وفقهاء ومؤرخين ، وشراح ومحشيين ، ولغويين ، وفلاسفة ومفكرين ، وسياسين واداريين ، واجتماعيين ، وهى تربوا على اكثر من مئتى مؤلف . وجعلته سلس العبارة ، سهل القراءة تتسنى دراسته

لكل من عرف القراءة من عوام المسلمين ، بغير أن يضطر لفهم العبارة الى الرجوع لكتب اللغة ، أو الشراح ، أو المفسرين ، وذلك لأجل أن يقف القارئ بسهولة على حياة منقذ الأمم من عرب وعجم ﷺ من الجهل ، والضلال ، والاستعباد ، والفوضى ، والاعتساف ، ويعلم كيف كانت طريقته فى الاصلاح ، وكيف استطاع أن ينقذ البشر من الهمجية ، وكيف كابد فى ذلك ، ويقف على ماناله من الأذى ، والبلاء والمحن حتى انتشل أمته من هاوية الشقاء ، وعرج بهم الى أوج السعادة والارتقاء ، الى ان بلغت الأمة المحمدية أعلاقمم الرقى والعمران ، ويعلم أيضا أنه قد تخرج من مدرسته المحمدية ممن تغذى من ارشاداته وتعاليمه من أولئك الاعراب الاميين سكان قلب الجزيرة ، وانحائها ، وفلواتها رجال قادوا الامم فى الحروب ، والسياسة ، والعلم والمدنية ، والعمران ، والحضارة ، والاجتماع ، حتى وصل الاسلام الى انحاء المعمورة ، وبلغ العالم الاسلامى مئات ملايين ، ويعلم ايضا أن أساس الرقى الاسلامى كان مبنيا على ربط قلوب المسلمين بعضها ببعض برابطة الايمان الصحيح الذى كان دستوره القرآن المجيد ، ويظهر له من دراسة ذلك أن لاحياة للمسلمين الا اذا سلكوا هذا الطريق المستقيم وطهروا قلوبهم من الخرافات ، والبدع ، والضلال ، والزيغ ، والالحاد ، والتشكيك ويعلمون أن ذلك لا يأتى عفوا بغير اجهاد أنفسهم على التعلم والتعليم وتتبع سيرة ومنهج سيد المرسلين وامام المتقين سيدنا محمد ﷺ والتمشى على مبادئه بقدم ثابتة ، وقلب مطمئن بالايمان الصحيح ، وفكر ثاقب

مستضىء بنور الهداية ، وعقل نقى من الغباوة والجمود والجهل المركب فمتى عمل المسلمون بذلك وسلكوا هذا الطريق المستقيم فلاشك انهم ينهضون من كبوتهم ويفيقون من غفلتهم ، وينتشلون من عثرتهم ، ويتخلصون من نكبتهم ، ويصبحون سادة بعد ان ساروا مستعبدين ، وأمراء بعدان كانوا مأمورين ، وقوادا بعدما صاروا مقادين ، وعلماء عصيرهم بعد أن اصبحوا جاهلين ، ومعلمين بعدان كانوا تلامذة ، وأئمة متبعين فى كل علم وفن بعدأن صاروا مقلدين فى كل شى تقليدا اعمى بغير أن يعقلوا بالشىء الذى قلدوا فيه هل هو مضر أم مفيد .

وربما يتبادر للقارىء أن الامر قد فات ، أو كما يقوله بعض المتقاعدين عن النهوض ان هذا آخر الزمان ولا يمكن ادراك مافات ، فالامر سهل لأن باب الهداية مفتوح على مصراعيه ، وسبيل الوصول الى الرشاد سهل السلوك ، وما على رائد الخير والفلاح والنجاح الا متابعة ماجاء به نبي الرحمة ، ورسول السعادة ﷺ ، وهو فائض وكثير ومتيسر فى كل وقت وحين وهو موجود فى كل عصر ومصر .

واما اذا تمادى المسلمون فى غفلتهم ، وتعمقوا فى غرورهم ، وسبحوا فى بحار جهالتهم ، وتقاعدوا عن سلوك سبيل الهدى والرشاد ، واتبعوا أقوال الملاحدة والمشككين ومن على شاكلتهم أولئك الذين هم العقبة الكؤد فى سبيل اصلاح الناشئة الاسلامية ، والذين يصرفون وجوههم عن طريق السعادة ويسمونها لهم بأسماء منفرة : كالرجعية و التأخر الى الوراء والهمجية ، وغير ذلك مع انهم بذلك اجدر . فلاشك انهم من الهالكين

حيث لا نجاح للمسلم ولا سبيل الى السعادة الا بتتبع ما كان عليه النبي ﷺ واصحابه من بعده ومن حذى حذوهم من اعلام المسلمين .

ولا يغرنك ايها المسلم الغيور على دينك ، ونبيك ، وكتابك ، (القرآن المجيد) وجامعتك الاسلامية ، مايقوله حشرات الالحاد أولائك الذين نشؤا فى مستنقع السفالة ، والغواية ، والجهالة ، والبذاءة والغباوة ، والسفسطة ، والغرور ، والحيرة ، والتشكيك ، والوقاحة ، والخسة ، والحطة ، والدناءة ، من أن سيد البشير محمداً ﷺ انما جاء فى عصر الهمجية ، ولو انه جاء فى هذا العصر الذى هو عصر المدنية ، لما أمكنه ان يعمل شيئاً . فهؤلاء وأمثالهم لا يعلمون ما عمله النبي ﷺ ولا يمكنهم ان يعلموه لأنهم غارقون بحار العماوة ، ومستنقعات الفساد ، فكيف وحالتهم هذه يمكنهم ان يعلموا ، اويفهموا ، اويشعروا بما عمله سيد الكائنات ﷺ من الخير العميم لسكان المعمورة ، وما سيعمله لو وجد الان ، فينبغي على كل مسلم ان ينبذ هؤلاء من البشرية وان يطمس وجوههم بالقار لأنهم من الحشرات التى نبتت من القذارات وليس لها مصلحة غير الفتك فى اعصاب البسطاء والجهلاء والاغبياء ومن على شاكلتهم ؛ والدليل على ذلك انك تراهم ساخطين على آبائهم لكونهم كانوا من المسلمين وسموهم بأسماء المسلمين ؛ ولم يفهموا بأنهم لم يكونوا مسلمين ولو ان آباءهم كانو مسلين وسموهم بأسماء بعض المسلمين . لان الاسلام له شروط ، وله عقائد ، وله تشريع خاص ، فلا يكون الشخص مسلماً الا اذا كان فيه شيء من صفات الاسلام . فليت آبائهم حين سموهم بأسماء

المسلمين سموهم بسم قاطع واراحوا البشرية من نتانة أفواههم ، وطهروا الأرض من قذاراتهم .

اما الجواب على قولهم : لو وجد محمد ما ذا كان يعمل . فأقول : قد سبق فى الاجزاء الاربعة من كتاب (حياة سيد العرب) ان نبينا محمداً ﷺ كان قد بعث فى وسط الأمة العربية منفرداً . ولما بث دعوته بين قريش ومن خالطهم من العرب والموالى فكان اول من خالفه ، وصادمه ورد عليه دعوته ، وكذبه ، أهل بيته وعشيرته ، ثم عموم قبائل قريش ثم كافة العرب ، وتصلبوا ضد دعوته ، ورفضوا التفاهم معه ، وآذوه وقاطعوه ، وعذبوا أصحابه عذابا شديداً لانهم كانوا فى جانب القلة المتناهية ، فلم يحن ذلك من عزمه ، ولم يضعف ارادته ، ولم يصدا قدامه بل انه ثابر على دعوته ، وتقدم فى عمله الذى بعث من أجله بقدم ثابتة وقلب صلد ، واخذ يعمل فى السر والعلانية ثلاثة عشر سنة يدعوا الى سبيل ربه بالحكمة ، والموعظة الحسنة ويجادلهم بالتى هى أحسن ، ويستجلب قلوبهم ، ثم بعد صرف جهود عظيمة ، وصراع عنيف ، طيلة تلك المدة استطاع ان يشكل كتلة من نحو مائة رجل من العرب فيهم السيد ، والشريف ، والضعيف ، والمولى ، ثم هاجر معهم الى المدينة حينما تآمرة قريش على قتله . ثم بعد الهجرة اتسعت حلقة تلك الكتلة وتفرع منها حسب تعاليمه وارشاداته ﷺ رجال قادوا الامة بمهارة فاقت على عموم قواد العالم فى ذلك العصر ، وا كتسحت مملكتى فارس والروم من الشرق ، ثم افتتحوا الدنيا فى نصف قرن كما اعترف بذلك

الامبراطور (نابليون بنابرت) ملك فرانسا

فاذا كان الامر كذلك، وفرضنا المحال ، ووجد هذا الحكيم الكبير والنبي العظيم ، والرسول الكريم محمد ﷺ فى هذا العصر الذى هو على قولهم عصر العلم والتنور ، فيكون الأمر اسهل مما كان فى ذلك العصر الهمجى لأن التفاهم مع العالم والمتنور أسهل وأقرب من التفاهم مع الاعراب الجفاة ؛ فهو لاشك انه بعد التفاهم معهم يستلم قيادتهم ويحلل كل ماهو متعسر تحليله من المشكلات التى استعصت على أقطابهم فى هذا العصر الحاضر وهذا بديهى لايحتاج الى اقامة الأدلة على ثبوته ؛ لأن من كان فى استطاعته اصلاح الهمج والمتوحشين وارباب الجفاء ؛ لا يعسر عليه قيادة المتنور والمتمدن والمتعلم .

هذا اذا فرض وجود المصلح الكبير محمد ﷺ فى العصر الحاضر ولم يكن على وجه الأرض مسلم ، واما لو وجد ﷺ فى هذا العصر الحاضر ووجد امامه اربعمائة مليون مسلم كلهم يشهد أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله . فيهم المتعلم والمتنور والمتمدن ، والقوى ، وذو النجدة ، ولايحتاجون الا لمن يجمع كلمتهم ، ويربطهم برباط الاخاء الصحيح الذى قد أرشدنا اليه بقوله ﷺ « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وكما آخى بين المهاجرين والانصار على اختلاف طبقاتهم من سيد ومسود وجعلهم كتلة واحدة وجسما واحداً ، فلاشك انه يوقظهم فى أقرب وقت من سباتهم العميق ؛ وينتشلهم من كبوتهم ، ويقودهم بحكمته الباهرة ويرقى بهم الى أعلى قبة فى مستوى العالم من قبب المجد والسؤدد والفخار

ويعرج بهم الى أسما درجات المدنية والحضارة والعمران ، ولا يمضى على المسلمين برهة من الزمن الا وقد اصبحت مقدرات العالم المتمدن بأيديهم كما وقع لسلفهم فى عصر الخلفاء .

ولا يحتاج الامر الى دليل حيث ان مانراه فى العصر الحاضر من أن مقدرات كثير من الامم المتمدنة القوية العظيمة الشأن أصبحت فى أيدى أفراد مثل المانيا صارت مقدراتها فى يد هتلر . وايتاليا مقدرتها فى يد موسولينى ، وتركيا فى يد مصطفى كمال ، وهم من أفراد تلك الامم . وليسوا بأنبياء ، ولا رسل ، ولم ينزل عليهم الوحى من السماء ولم تكن نظمهم الهية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، بل ان نظمهم وضعية قابلة للتعديل فى كل آن وحين .

فاذا كان الأمر كما وصفنا ، أفلا يكون لو فرض المحال ووجد سيدنا محمد ﷺ فى العصر الحاضر وقبض بيده الطاهرة على مقدرات العالم الاسلامى وقادهم كما قادهم سابقا بنظام رب العزة ومنظم الكائنات جل وعلا ، ذلك النظام الذى قد ظهرت فائدته حتى عند أعلام الغرب ، افلا يكون مصيرهم أعظم وأرقى من سائر الامم المعاصرة ؟ فلا ريب فى ذلك.

وأما اذا كان مقصد هؤلاء الأغبياء من قولهم لو وجد محمد ﷺ فى العصر الحاضر ماذا كان يعمل أمام المخترعات الحديثة من الدبابات ، والطيارات ، والمدرعات ، والآلات الجهنمية ، والغازات الخانقة . فذلك مما يدل على شدة حماقتهم وغباوتهم وجهلهم المتناهى ، فلو انهم درسوا التاريخ الاسلامى وخصوه بخص المستشرقين على الأقل لعلموا

كل شيء عمله سيدنا محمد ﷺ ، وعمله اصحابه رضى الله عنهم من بعده وتابعهم على ذلك العمل من أتى بعدهم من خيار السلف الصالح ، بل ولعلهوا أيضا ماعملته العرب البائدة فى عصورها الغابرة ، فقد ذكرت فى الجزء الاول من (حياة سيد العرب) أن العرب هم أول من صنع السفن فى غابر أجيالهم فى الخليج العربي المسمى الآن بالخليج الفارسى قبل ان يصنع الفنيقيون ملاحتهم في البحر الأبيض المتوسط . ولما جاء الاسلام بنوره وأبتدأ الفتح الاسلامى كان سلاح المسلمين السيف ، والرمح ، والقوس ، فلما وجد المسلمون ان أعداءهم يستعملون أسلحة أخرى مثل المنجنيق ، والدبابات ، والضبور / ومافى معناها ، قاموا على الفور بصنع ماهو أقوى مما بايدي الاعداء . ولما غزا معاوية رضى الله عنه جزيرة قبرص فى خلافة الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه غزاها بأسطول عظيم من صنع المسلمين وتفوق به على اسطول أعدائه ، وكان النصر فى جانبه ، وغير ذلك من المهمات الحربية التى قد قام بصنعها المسلمون وفاقوا على خصومهم فى كل موطن من مواطن البأس . مع ان مخترعات المسلمين فى عموم ادوارها الى زمن غير بعيد كانت ابهى وأعظم من مخترعات أهل الغرب ، بل كانت هى المخترعات الوحيدة فى العالم ، حينما كان الغرب يتخبط فى ظلمات الجهل ، وذلك بشهادة الاستاذ (درابر) الامريكي ، والاستاذ (سنكس) والأستاذ (دروى) أحد وزراء فرنسا السابقين ، وغيرهم كما سيأتى تفصيل ذلك عنهم . غير ان ذلك كان حينما كان المسلمون متيقظين . فلو فرض المحال ووجد نبينا

محمد ﷺ فى العصر الحاضر لايقاظ المسلمين من سباتهم العميق ونهض بهم نهضته المعروفة حتى عند علماء الغرب ، ولأرشدهم الى عمل ماهو أفوق من عمل أعدائهم فى عموم المخترعات اتقانا وجودة ، وتأثيراً ، حيث ان لكل عصر من العصور سلاح خاص وقدأرشدنا القرآن الى مقابلةالاعداءبالمثل أو بمايفوق عليهم بقوله تعالى (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة) فلما كانت القوة بالسلاح الابيض والخيل المسومة ، فقد استعدالمسلمون بذلك . ولماصارت الآن القوة بالطيارات . والمدرعات والدبابات ، والآلات الجهنمية ، والقازات الخانقة ، فطبعا من الواجب أن يكون الاستعداد بمثل تلك القوة أو بما يفوق عليها . وربما تكون هذه الآلات الحربية التى هى محل اعجاب أهل العصر الحاضر فى العصور المقبلة لاتعدشيئا أمام ماسيحدث من المخترعات فى تلك العصور وتصبح هذه المخترعات أمام تلك بمثابة السلاح الابيض أمام مخترعات العصر الحاضر ، فان ظن هؤلاء الاغبياء انه لووجد النبي ﷺ فى العصر الحاضرة يجعل سلاح المسلمين السيف والرمح والقوس فقط : ولا يأمرهم ان يستعدوا بمثل السلاح العصرى أو بما يفوق عليه : فهذا مما يضحك الثكلى مع ان المخترعات الحديثة العصرية لم تنزل على أهل الغرب من السماء أو انه جاء بها نبى مرسل من الله تعالى لاهل الغرب خاصة ، وانما هى جاءت عن طريق التفكير والبحث ومن نتائج التجارب : كما أن ذلك ليس هو بالامر الصعب على كل من له مسكة من العقل : فلوأن المسلمين باروا أهل الغرب فى مخترعاتهم :وجدوا فى عمل تلك الصنوعات:

لكانوا على الاقل مثلهم فى كل شىء : اذا لم نقل انهم يفوقون عليهم كما فاق سلفهم المتيقظ السعيدى فى عموم اعماله على معاصريه : فاذا علمت ذلك ظهر لك أن الذنب لم يكن ذنب الدين الاسلامى : وانما الذنب ذنب المسلمين الذين تقاعدوا عن واجبهم الدينى والدينوى حتى صاروا اذلاء فى عقر دارهم : واستوجبوا هذا التأخر أمام الغرب : وهذا الاستعباد •

هذا ما كان يصنع أو يعمل به (كما يظهر و يتبادر الى الذهن) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قياسا على ما عمله فى عصره لو فرض وجوده فى هذا العصر الحاضر من ايقاظ المسلمين من غفلتهم ، وانهاضهم الى ما فيه تفوقهم على عموم معاصريهم ، وجعلهم فوق مستوى العالم أجمع واما ما كان يعمله فى اذناب الالحاد أولئك المرجفون الذين لا خلاق لهم فان أول شىء كان يعمله فيهم هو طم تلك المستنقعات التى نبتوا منها . وردم أبؤر القذارة التى نشؤا فيها . وهدم دور الالحاد والبذاءة والتشكيك التى استخرجوا منها . واحراق كتب التبشير التى قد حشيت بالاكاذيب والترهات والتشويه والمفتريات على الدين الاسلامى والتى هى سلاح الملاحدة الذين قد ارتشوا على اذاعتها بين البسطاء من المسلمين باسم التجدد . واشعال النار فى الحانات التى جعلوها أندية لهم . واصلاء أبدانهم بلظاها . وذلك ليطهر الانسانية التى لوثوها ببذاءتهم وقحتهم ويريح البشرية من وقاحتهم وسفسطتهم . ويخلص بعض الناشئة الاسلامية التى رمتهم الاقدار فى أيديهم من رجسهم . ويشفى صدور قوم مؤمنين بابادتهم من وجه الارض •

هكذا كان يصنع فيهم رسول الله ﷺ لو فرض وجوده فى هذا العصر قياساً على ماصنعه فيمن كان مثلهم فى عصره من مشركى قريش . ويهود بنى قريظة بما فيهم حيى بن اخطب . وبعض المنافقين . أولئك الذين قد بذل قصارى جهده فى اصلاحهم فلم يفد فيهم غير الارهاق والتنكيل .

مع ان الامر لا يحتاج الى وجود النبى محمد ﷺ فى العصر الحاضر بل ولا الى وجود احد من الخلفاء الراشدين مثل ابى بكر الصديق رضى الله عنه . او عمر الفاروق رضى الله عنه . اوالى احد القواد المهرة مثل خالد بن الوليد رضى الله عنه . اوسعد بن ابى وقاص رضى الله عنه . بل ولا يحتاج الامر الى من هو اقل بدرجات من أصحاب رسول الله ﷺ مثل ابن هبيرة . اوابن ابى ليلى . اوموسى بن نصير . او طارق بن زياد . ذلك الذى افتتح أوروبا بعشرة آلاف مسلم اويوسف صلاح الدين الايوبى ذلك الذى دحر دول أوروبا من فلسطين واجلاهم عن بلاد الاسلام بجنوده العرب الذين هم من مصر وسوريا فقط وليس الامر ايضاً يحتاج الى غير هؤلاء القواد فى العصر الحاضر . وذلك لان الكتاب الذى أنزل على نبينا محمد ﷺ من عند الله تبارك وتعالى هو بين أيدينا بسوره . وآياته وحروفه . لم ينقص منه حرف واحد . ولم تتغير فيه كلمة واحدة . كما أن تعاليم النبي ﷺ التى أرشد بها أصحابه مدونة ومعلومة عندنا . وكل هذا كاف وكافل لهداية البشر فى هذا العصر وفى عموم العصور الآتية . وصالح لكل زمان ومكان الى يوم البعث والنشور . وموعظة للمسلمين لايقاظهم من سباتهم العميق .

وانما الذى نحتاجه فى العصر الحاضر هو ايجاد رجال مصلحين يقومون

باصلاح المسلمين وربط اواصرهم وجمع كلمتهم على المبادىء التى صار عليها الخلفاء الراشدون ومن حذا حذوهم من خلفاء بنى امية وبنى العباس . وليس ذلك بالامر الصعب الذى لا يمكن الوصول اليه . بل اراك ذلك من اسهل الامور . وانما يجب علينا قبل كل شىء ان نعلم بعد ان وصلنا الى ما وصلنا اليه من التفكك الشنيع . والتخاذل المريع . والتقاعد المميت . تحطيم هذه القيود التى قد قيدنا بها أنفسنا . او قيدنا بها أعداؤنا ونتبذ ما اعترانا من البدع التى دخلت علينا فى ديننا وصرفت وجوهنا عن مبادىء الدين القويم الذى سار عليه السلف الصالح . ونهدم دور الالحاد والتشكيك على رؤس أهلها أذناب الاستعمار والتبشير . التى هى السبب الوحيد فى تأخر كثير من الناشئة الاسلامية التى عليها المعول فى الحال والاستقبال وصرفت وجوههم عن الواجب الدينى الذى هو الاساس الوحيد لنهضة الاسلام . والذى هو الدافع لمعتنقيه الى الرقى والتقدم فى عموم مايحتاجه الانسان لصالح دينه ودنياه وآخرته .

فاذا عملنا ذلك وتخلصنا من البدع . والخرافات . والالحاد . والتشكيك . وشافانا الله من ذلك الداء العضال الذى هو التقليد الاعمى لكل ناهق وناعق . ولكل دجال وشيطان . ولكل ضال مداهن . وجب علينا الرجوع الى الوراء ألفاً وثلاثمائة وخمسين سنة : وذلك لأجل أن ندرس بدقة تعاليم المؤسس الاعظم لهذه الجامعة الاسلامية ذلك المؤسس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم نتبصر فى أعمال الخليفتين أبى بكر الصديق ، وعمر الفاروق رضى الله عنهما وماقاما به من النهوض بالأمة

الاسلامية نحو الرقى والاجتماع والتقدم فى عصريهما السعيدين ؛ ثم نتتبع سير قواد الاسلام العظام أولئك الذين قد فتح الله تعالى على أيديهم الاقاليم والممالك فى عموم انحاء الارض ؛ واستقبلتهم تلك الامم بصدر منشرح لكونهم أطعموهم حلاوة العدل والحرية والانصاف . ومتى بحثنا فى دراسة كل ذلك ووقفنا وقوفا تاما على تلك النظم الشرعية ؛ والاجتماعية ؛ والسياسية ؛ والادارية ؛ والعمرانية . وجب علينا ان نسير على موجبها سيرا حسنا منظما . ومتى قمنا بهذا الواجب تسنى لنا بعد ذلك ان نربط اواصر العالم الاسلامى الذى يربو على أربعمائة مليونا من النفوس برابطة الايمان الصحيح الذى لا يشوبه تفكك ؛ ولا تخاذل ولا يتخلله الحاد ولا تشكيك ؛ ولا بدع ؛ ولا خرافات . نربط ذلك العالم الاسلامى المتبعثر ؛ والمتفكك ؛ والمتخاذل ؛ فى عموم أرجاء الارض ذلك الذى يقطن من رأس الرجا الصالح باقصى افريقية جنوبا الى اقصاها شمالا ومن المحيط الاتلانتيكى غربا الى اقصى الصين شرقا . ومن جزر الاقيانوس جنوبا بما فيها جزر جاوا : ثم اقاليم الهند : والايران : والافغان : وتركستان : وبخارا . والقفقاس . الى تخوم روسيا شمالا وما تخلل تلك الحدود باواسط آسيا . واطراف أوربا . وغير ذلك من الاقاليم التى يوجد بها افراد وجماعات من المسلمين .

وهنا نتساءل عن الطرق الموصلة الى ذلك . فالذى يظهر لنا ان هناك طريقين يمكن الوصول بواسطتهما الى ما نتوخاه من الاصلاح . (احدهما) ان يختار العالم الاسلامى منه رجالا اشداء مخلصين لدينهم

ولأمتهم ولجامعتهم الاسلامية ، غيورين على أبناء جلدتهم من عموم اجناس المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها • ويكون هؤلاء المختارون على قسمين • قسم منهم يتولى التدريس فى عموم المدارس الاسلامية وكل أمة من الامم الاسلامية تضع فى مدارسها أساتذة متضلعين فى لغة تلك البلاد • مع وجوب تعليم اللغة العربية • حتى يتسنى لعموم الامة الاسلامية أن تتفاهم مع بعضها بعضاً باللغة العربية التى هى لغة القرآن وذلك بعد ان ينبذ وينحى منها اساتذة الالحاد • والتشكيك • الذين هم رسل التبشير • ودعاة الضلال • والداء العضال فى جسم المسلمين • والذين هم ايضاً أساس الفساد فى تضليل كثير من الناشئة الاسلامية • فيتولون هؤلاء الاساتذة المختارون تدريس فلذات أكبادهم • ورجال المستقبل • على قاعدة الايمان الصحيح • فيغذون ارواح الناشئة بمبادئ الاجتماع الاسلامى • والاخاء الانسانى • ومكارم الاخلاق والتكاتف والتعاضد

والقسم الثانى يتولى القاء المحاضرات ، والخطب الاجتماعية فى الاندية والمجتمعات العمومية ، ويسيرون الى الامام بقدم ثابتة وقلب صلد ، ورابطة جأش ، وعزم صادق واقدام مستمر ، وجراءة فائقة لا يهزهم التهديد ، ولا يصدهم الوعد والوعيد ، ويتسلحون بالصبر والثبات كما صبر منقذ العالم محمد صلى الله عليه وسلم على أنواع البلاء ، وصنوف الارهاق ، وكما صبر أصحابه رضى الله عنهم على أشد أنواع العذاب ، حتى بلغوا مرادهم من انقاذ البشرية من الفوضى والشرك والاستعباد •

فمتى ثار هؤلاء المصلحون بضع سنين على ذلك فلاشك انهم ينجحون فى أعمالهم ، ويتوفقون فى غرس المبادئ الاسلامية فى قلوب عموم المسلمين على اختلاف طبقاتهم وبالاخص فى انقاذ الشبيبة من براثين الالحاد والتشكيك والتفرنج لأن الامر موقوف على تأهل الشبيبة وتغذية أرواحها بمبادئ الايمان الصحيح لانهم هم رجال المستقبل وعليهم المعول فى الدفاع عن الاسلام من كل تعد مادى أو معنوى ولا تمضى على المسلمين برهة من الزمن الا وقد أطلقوا من عقالهم وأصبحوا أقوياء الجانب عظيمى الهيبة ، مستقلين استقلالا تاما بأوطانهم ، ومصانين فى أهليهم وأولادهم وأموالهم . وهذا هو الطريق السلمي الوحيد ، وهو سبيل الهدى والرشاد والنجاح والفلاح فى كل شىء

فظهر مما تقدم أن الأمر لا يحتاج الى وجود المصلح الاعظم ﷺ وانما الذى نحتاج اليه هو التمشى على طريقته التى كان دستورها القرآن المجيد فلو ان المسلمين ساروا على ذلك الطريق الأوحد ، وتمسكوا بأعباء الدين الحنيف وسلكوا سبيل النبي ﷺ . واقتدوا بالخلفاء الراشدين المهديين من بعده ، لما وصلوا الى ما وصلوا اليه من الانحطاط والتفكك والتخاذل بل كانوا لا يزالون فى عز مستمر . وبقوا على ما كانوا عليه فى سالف مجدهم سادة العالم أجمع ، رغماً عن المدنية العصرية الجوفاء التى مبناها على التهتك والدعارة ، ونبذ الفضيلة ، ورغماً على أنوف المعجبين بها أولئك الذين خسروا أنفسهم وأموالهم فيما لم يحمد عقباه من الخبائث وتراهم ساخطين على الاسلام لانه حرم على الناس الخبائث وأباح لهم الطيبات لكونهم قد ألفوا

الخبائث وانغمسوا فيها ، وأصبحوا لا حياة لهم الا بها .

وربما يتبادر الى بعض الأذهان الجامدة ان الاسلام انما هو دين عبادة ، وليس هو دين مدنية ، وحضارة ، وعمران ، واجتماع ، وسياسة وأنه يمنع معتنقيه من معرفة الصناعة والزراعة ، ومزاولة الفنون الجميلة فوجب ان أوضح له ما كان عليه الاسلام فى سابق مجده ؟ فقد حدثنا التاريخ ان الاسلام جاء بنظام العالم والامم ، وبسعادة البشر ، وبالمدنية الطاهرة النقية من كل دعارة وفسق وفجور ، تلك المدنية التى كان مبناها على مكارم الاخلاق ، وبالعمران الذى شيد على العدل وبالحرية الفاضلة ، والمساواة بين طبقات البشر فى الحقوق ، وبالحضارة البهجة التى لا تزال محل اعجاب أعلام الغرب وفلاسفته ومفكريه الى اليوم ، كل ذلك كان بارشاد الدين القويم ، فقد احل للامة الاسلامية الطيبات ، وامرها باتخاذ الزينة حتى عند كل مسجد كما حدثنا التاريخ عما شيده المسلمون من العمران الهائل ، فتح عمرو بن العاص رضى الله عنه ترعة السويس واجرى السفن فيها من القاهرة الى البحر الأحمر ، وعمر ابو جعفر المنصور مدينة بغداد وانشأ على ايوانه تلك القبة العظيمة التى كان بناؤها بالذهب الوهاج وقد بلغ ارتفاعها ثمانين ذراعا ، وبنى عبد الرحمن الثالث الاموى بقرطبة فى اسبانيا مدينة الزهراء وهى عبارة عن قصر ، ومسجد ، وحديقة ، وقد صرف عليها مئات الملايين من الدنانير ، وغير ذلك من بدائع العمران وصنوف الفنون الجميلة ، مما ادهش المفكرين والمنصفين من اعلام الغرب ، فكان المسلمون هم

اساتذة اوربا فى عموم علومهم ومعارفهم حتى الميكانيك . وقد شهد بذلك كثير من علماء الغرب وفلاسفته ، اولئك الذى نشأوا فى أحضان المدنية الغربية فى العصر الحاضر ، وهم لا يزالون على غير دين الاسلام وقد تصدى المنصفون منهم بالرد على مفتريات المبشرين من ابناء جنسهم ومذهبهم تلك المفتريات التى قد اختلقوها على نبي الاسلام ، وكتاب الاسلام ، والتشريع الاسلامى ، وعلى الخلفاء الراشدين ، واعلام الاسلام وقادة الاسلام وحضارة الاسلام فزيفوا اقوال القسس وكل ما نسبوه الى النبي ﷺ والى الدين الاسلامى كما سيأتى فى هذه الوريقات قريبا وكان الدافع لهؤلاء الأعلام الغربيين الى اظهار الحقائق هو محض الانصاف ، ولاجل ان يرشدوا امتهم الى محاسن الاسلام كى يقتبسوا منه ما يوافق مشاربهم ، ويتمشى مع الرقى والعمران حسب رغباتهم ، لكونه هو الدين الصحيح الذى لم يعتريه تغيير أو تبديل

هذا ما أردت بيانه عن حقيقة الدين الاسلامى ملخصا وقد اتيت باوضح مما تقدم فى كتاب (حياة سيد العرب) وهناك تقف على ما عمله سيدنا محمد ﷺ من السياسة والاجتماع ، واليك شيأ وجيزا مما قاله اعلام الغرب الذين هم اهل الحل والعقد فى بلادهم ، وامتهم ، واصحاب الكلمة المسموعة عند اقوامهم ، وارباب المقامات الرفيعة فى حكوماتها فى الدين الاسلامى. ونبي الاسلام وكتاب الاسلام وحضارة الاسلام وعمران الاسلام ومدنية الاسلام وما قام به رجال الاسلام من الاعمال العظيمة فى كل شئ والاصلاح الكبير ، ونشروا ذلك فى مؤلفاتهم التاريخية والاجتماعية ومجلاتهم

وجرائدهم السيارة وما ألقوه فى انديتهم ومجتمعاتهم من الخطب والمحاضرات فى ذلك ، لكى تقف أيها القارئ على ماقاله أولئك الاعلام ٠ الذين هم على غير دين الاسلام ، فى محاسن الاسلام ، وكونه هو الدين الوحيد الذى عليه مدار الاجتماع البشري ، وفيه صلاح العالم اجمع ، وهو الذى يصلح لكل زمان ومكان ٠ ثم تقارن بين اقوالهم وبين مايقوله حشرات الالحاد والتشكيك ، اولئك المنبوذون من الفضيلة ، والانسانية ومكارم الاخلاق ، حتى يظهر لك جليا ان هؤلاء الحشرات أجهل من الحيوانات العجم عقلا ، وفهما وادراكا ، وتصورا ، وأحط من القردة والخنازير وعبدة الطاغوت فى المجتمع الانسانى قدراً ، ومقاماً ومنزلة

نظريه الكونت هنرى

قال (الكونت هنرى دى كاسترى) وهو احد وزراء فرنسا ، وأحد حكام الجزائر السابقين ، فى كتابه (الاسلام) الذى عربه المرحوم فتحى زغلول باشا فى صحيفة (١٥)

ان امة العرب قبل النبي كانت وثنية على وجه العموم ، وكان مذهب توحيد الاله يخطر فى الاذهان رويداً رويداً ، وكان المشخصون لهذا الاعتقاد فريقا يقال لهم الاحناف ، بقوا على مذهب ابراهيم ، واما المسيحيون فكانوا فرقا كثيرة كلها تعتقد بمذهب التكثير (تعدد الآلهة) وتلقى محمد مذهب أولئك الاحناف بحالة سطحية ، لكن لما كانت نفس ذلك النبى مفطورة على التشبع بالدين تكيف هذا المذهب

فى وجدانه حتى صار اعتقاداً لم تصل اليه نفس قبله الاّ قليلا ، وهو ذلك الاعتقاد المتين الذى أحدث انقلابا كليا فى النوع البشرى ، ومن الخطأ ان نبحث عن هذا المبدأ العميم فيضه فى غير طريقة الاحناف ، لان محمداً ماكان يقرأ ولايكتب ، بل كان كما وصف نفسه مراراً (نبياً أميا) وهو وصف لم يعارضه فيه احد من معاصريه ولاشك انه يستحيل على رجل فى الشرق ان يتلقى العلم بحيث لا يعلمه الناس ، لان حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان ، على ان القراءة والكتابة كانت معدومة فى ذلك الحين من تلك الاقطار ، فثبت اذن مما تقدم ان محمداً لم يقرأ كتابا مقدسا ، ولم يسترشد فى دينه بمذهب متقدم عليه اذلو فرض وكان القرآن قد نقل بعضا من الكتب المقدسة الاخرى لبقى الامر مشكلا كما كان عليه فى معرفة حقيقة ما اختلج بروحه الدينى ، وكيف وجد فيها ذلك الاعتقاد الثابت بوحدانية الله حتى استولى عليه روحا وجسما ، ولقد نعلم انه من متاعب كثيرة وقاسى آلاماً نفسية كبرى قبل ان يخبر برسالته ، فقد حلقه الله ذا نفس تمحضت للدين ، ومن اجل ذلك احتاج الى العزلة عن الناس لكى يهرب من عبادة الاوثان ولكى ينفرد بما نزل فيه من الفكر العظيم وهو وحدانية الله تعالى ، اعتكف فى (جبل حراء) وارخى عنان التفكير يجول فى بحار التأملات عابداً مجتهداً ، ولعمرى فيم كان يفكر ذلك الرجل الذى بلغ الاربعين وهو فى ريعان الزكاء ، ومن أولئك الشرقيين الذين امتازوا فى العقل بحدة التخيل وقوة الادراك ، لا بوضع المقدمات وتطبيق النتايج عليها

ما كان الا ان يقول مراراً ويعيد تكراراً هذه الكلمات (الله احد الله احد) كلمات رددها المسلمون أجمعون من بعده ، وغاب عنا معشر المسيحيين مغزاها لبعدنا عن فكرة التوحيد ، ولم يزل عقله مشتغلا حتى ظهر هذا الفكر فى كلامه على صور مختلفة جاءت فى القرآن (لم يلد ولم يولد ولم يكن له شريك ، ولم يكن له كفوء أحد) وكانت مترادفات اللغة العربية تساعده بمعانيها الرقيقة على ترداد ذلك الفكر السامى الذى دلّ عليه ، ومن تلك الافكار وتلك العبادة تولدت كلمة الاسلام (لا اله الا الله) ذلك هو اصل الاعتقاد بإله فرد ، ورب صمد ، منزه عن النقائص ، يكاد العقل يتصوره ، وهو اعتقاد قوى يؤمن به المسلمون على الدوام ويمتازون به على غيرهم من القبائل والشعوب ، اولئك حقاً هم المؤمنون كما يسمون انفسهم ، فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو اعظم مظهر فى حياته ، وهو ذاته اكبر دليل على صدقه فى رسالته وامانته فى نبوته .

ثم تكلم على الوحى ومعجزات القرآن فى بلاغته ومعانيه واعتراف فصحاء العرب باعجازه ، وذكر منهم عتبة بن ربيعة ، وذكر مسيلمة الكذاب واثبت بطلان ادعائه ، وذلك من صحيفة (١٨) الى (٢١) ثم قال : ولو قال قائل ان القرآن ليس كلام الله ، بل كلام محمد ، فلا بد لنا على الحالين من الاعتراف بان تلك الآيات البينات لا تصدر عن مبتدع أبداً ، خلافاً لرأى من ذهب الى تكذيب نبوته ، ولعل رأيهم جاء من ضيق اللغة التى تلجئنا الى ان نرمى بالكذب نبياً هو فى الحقيقة

شخص ملىء امانة وصدقا . — الى ان قال — اذاً ليس محمد من المبتدعين ، ولا من المنتحلين كتابهم وليس هو نبي سلاب كما يقول موسيو (سايوس) ولا نسلم بانكار هذه الحقيقة ، وحينئذ لا عجب اذا تشابهت تلك الكتب فى بعض المواضيع خصوصا اذا لاحظنا ان القرآن جاء ليتممها ، كما ان النبي ﷺ خاتم الانبياء والمرسلين — ثم قال — ولكن الامر الذى تهم معرفته هو ان القرآن آخر كتاب سماوى ينزل للناس وصاحبه خاتم الرسل ، فلا كتاب بعد القرآن ، ولا نبي بعد محمد ﷺ ولن تجد بعده لكلمات الله تبديلا .

وقال فى صحيفة (٤٨) بعد ان اطال البحث فى تحليل ما تقدم ورد على المتطرفين من المستشرقين فرياتهم على نبي الاسلام ﷺ وبالجملة فان الاسلام ما دخل بلداً الا وصار ذا المقام الاول بين الديانات المسيحية من غير ان يتعرض لمحوها ، وعلى هذا يتحقق ان الدين الاسلامى لم ينتشر بالعنف والقوة ، بل الاقرب للصواب ان يقال ان كثرة مسالمة المسلمين ولين جانبهم كانا سببا فى سقوط المملكة العربية — الى ان قال — ان ديانة القرآن تمكنت من قلوب جميع الامم اليهودية ، والمسيحية ، والوثنية فى افريقيا الشمالية ، وفى قسم عظيم من آسيا ، حتى انه وجد فى بلاد الاندلس من المسيحيين المتنورين من تركوا دينهم حباً فى الاسلام كل هذا بغير اكراه .

ثم بعد ان اطال البحث فى العقائد الاسلامية؟ والتشريع الاسلامى من ناحية الاعتقاد بالقضاء والقدر وتعدد الزوجات والطلاق ، والرق

وصرح بان ذلك من حسنات الاسلام على المسلمين • وان الرق كان عند الامم المسيحية على اشنع حال • ورد على المبشرين اكاذيبهم ومفترياتهم وتشنيعهم على الاسلام ، قال فى صحيفـة (٨٦) وهنا يجب البحث فيما اذا كان الاسلام دينا عموميا بطبيعته كدين بوزا وكالدين المسيحى ، أوهو دين خاص بامة من الامم ، وهو بحث طرق بابه من قبل موسيو (كينان) والجواب عليه صريح لاشك فيه من الجهة العلمية فالاسلام دين عام بغير شبهة ، لاننا نشاهد من المسلمين فى كل امة على اختلاف الاجناس والبلدان ، فمنهم الشرقى والتترى والغربى ، والهندى والزنجى • بقى علينا ان نعرف مع موسيو (كينان) ان كانت هذه الحالة العمومية ناشئة من طبيعة الدين ، اومتولدة من اسباب اخرى وهو يرى ان الامة العربية ليست مهـده الطبيعى ، وانما هو ينتمى اليها وليس فى طبيعة هذا الدين انه دين عمومى ، وهو قيد ناشىء عن نظر فى الموضوع من احدى جهاته فقـط لان الدين الاسلامى الذى منشؤه القرآن والسنة هو الذى تولد عنه ذلك الاسلام الذى يعترف المؤلف المشار اليه بانه دين عام لامحالة ، وانتقـاله من حالته الاولى الى الثانية ، حصل تدريجا بطريقة يتعذر ضبطها ، وذلك بتأثير الزمان والامم المختلفة التى اعتنقته ، بحيث يتعسر التفريق بين تقدير تأثيره من حيث هو فى أصله وتأثيره بعـد ان صار كما نراه فى هذه الايام ، فلايغضبن موسيو (كينان) اذا حذفت تقسيمه الاسلام الى اول ولاحق ، وقلت فيه كلمة كما قال فى كتابه انه دين عمومى — ثم قال —

ومن مزايا الاسلام انه دين رحيم ، فهو يعد الجنة والنعيم لكل مؤمن من دون تمييز على التقريب فالمحارب يموت شهيداً والعالم يكتفى بتلاوة القرآن ، والاثنان مقبولان عند الله ، وللفقير مكان عال وللغنى درجة رفيعة الخ .

هذه نبذة وجيزة نقلتها من نظرية الكونت هنرى دى كسترى الوزير الفرنساوى من كتابه (الاسلام) وهذا الكتاب يحتوى على مواضع شتى دحض بها مفتريات القسس ، والمبشرين وبعض المستشرقين المتطرفين الذين لا يقيمون للانصاف وزنا وكل ما اذاعوه من التشنيع على الاسلام ، وكتابه ونبيه مع انه قد صرح انه مسيحى المذهب ، ولكن الذى دفعه الى ذلك هو اولا حرية الرأي والانصاف فى القول الحق وان كان ذلك ضد مذهبه ، ثانيا اراد ان يطلع الامة الفرنساوية على حقيقة الدين الاسلامى لتكون على بصيرة من امرها ولا تغتر بفريات المبشرين الذين يستنزفون اموال امتهم باسم التبشير لدينهم بدون جدوى ، ولا طائل تحته غير تضحية الاموال الضخمة فى سبيل شهوات القسس وغطرستهم التى لا حد لها .

نظرية الاستاذ سيديو

وقال الاستاذ الكبير الموسيو (سديو) الفرنساوى احد اعلام الافرنج واحد وزراء فرانسا السابقين فى كتابه (خلاصة تاريخ العرب) تعريب (علي باشا مبارك) بصحيفة (٧) فى المقدمة بعد ذكره

لفضل الامة العربية قوله .

ثم اتى النبى ﷺ فربط علائق المودة بين قبائل جزيرة العرب ووجه افكارها الى مقصد واحد فعلا شأنها حتى امتدت سلطتها من نهر التاج — المار باسبانيا ، وبرتغال — الى نهر الكنج ـ وهو اعظم انهار الهند — وانتشر نور العلوم والتمدن بالشرق والغرب ، وأهل اوربا اذ ذاك فى ظلمة جهل القرون المتوسطة ، وكأنهم نسوا نسيانا كليا ماوصل اليهم من احاديث اليونان والرومان ، واجتهد العباسيون ببغداد ، والامويون بقرطبة ، والفاطميون بالقاهرة ، فى تقدم الفنون ثم تمزقت ممالكهم وفقدوا شوكتهم السياسية فاقتصروا على السلطة الدينية التى استمرت لهم فى سائر ارجاء ممالكهم ، وكان لديهم من المعلومات ، والصنائع ، والاستكشافات ما استفاده منهم نصارى اسبانيا حين طردهم منها كما ان الاتراك والمغول بعد تغلبهم على ممالك آسيا استفادوا معارف من تغلبوا عليهم .

ثم قال فى صحيفة (٩) فى وصف التمدن العربى : وصف التمدن العربى الذى تمكنت أصوله فى آفاق الدنيا القديمة اقوى تمكن ، ولا نزال الى الان نرى آثاره حين نبحث عن مستمد مبادى ما نحن عليه من المعلومات الاوروباوية ؛ فان العرب فى غاية القرن الثامن بعد الميلاد فقدوا الحمية الحربية وشغفوا بحوز المعارف حتى أخذت عما قليل مدائن قرطبة ؛ وطليطلة والقاهرة وفارس ومراكش ؛ والرقة ؛ واصفهان وسمرقند تفاخر بغداد فى حيازة العلوم والمعارف . وقرىء ما ترجم الى

العربية من كتب اليونان فى المدارس الاسلامية ، وبذل العرب همتهم فى الاشتغال بجميع ما ابتكرته الافهام البشرية من العلوم والفنون وشهروا فى غالب البلاد خصوصا البلاد النصرانية من اوربا بابتكارات تدل على انهم أئمتنا فى المعارف ولنا شاهد صدق على علو شأنهم الذى تجهله الفرنج من ازمان مديدة الاول ما أثرعنهم من تواريخ القرون المتوسطة وأخبار الرحل والاسفار وقواميس ما اشتهر من الامكنة ، والرجال والمجاميع الشاملة لكثير من الفنون الفاخرة . والثانى ما كان لديهم من الصناعات الفائقة والمبانى الفاخرة والاستكشافات المهمة فى الفنون وما اوسعوا دائرته من علوم الطب والتاريخ الطبيعى والكيمياء الصحيحة والفلاحة والعلوم الصحيحة التى مارسوها بغاية النشاط .

وقد اتى الموسيو سيديو فى كتابه هذا على بعض السيرة النبوية والتاريخ الاسلامى وتوسط فى بحثه ولم يكن مجحفا أو جافيا ونقل عنه الاستاذ فريد وجدى فى كتابه (الاسلام دين عام خالد) فى الجزء الاول منه بصحيفة (٤٢) انه قال لقد كان المسلمون متفردين بالعلم فى تلك القرون المظلمة فنشروه حيث وطئت اقدامهم وكانوا هم السبب فى خروج أوروبا من الظلمات الى النور . انتهى

فهذا يدلنا دلالة صريحة على أن المسلمين هم الذين جنوا على أنفسهم جناية لا تغتفر لكونهم تقاعدوا عن العمل ، وتكاسلوا فى درس العلوم والفنون التى خلفها لهم أسلافهم ، وأهملوا مزاولة الصناعة فى العصور الحاضرة حتى صاروا عالة على الغرب فى كل شىء حتى فى سم الخياط ،

ولم يكن الدين الاسلامى هو الذى أمرهم بالتقاعد عن واجباتهم الدينية والدنيوية ، فالذنب ذنبهم لأنهم أضاعوا مركزهم السياسى والاجتماعى والصناعي ، كما أضاعوا أستاذيتهم العليا على الغرب ، وعلى العالم أجمع ، وكانوا هم السبب الوحيد فى انحطاطهم ، وجعلوا مسوغا لأعداء الاسلام أن يرموا الدين الاسلامى بالجمود والتأخر ، بناء على جمودهم وتأخرهم الممقوت فى كل أحوالهم الدينية ، والدنيوية ، والاجتماعية .

نظرية الدكتور جوستاف لوبون

وقال الدكتور (جوستاف لوبون) الفيلسوف الفرنساوى فى كتابه (سر تطور الأمم) تعريب فتحى زغلول باشا فى صحيفة (١٥٩) :
اتحدت قبائل العرب بفكرة محمد ﷺ فاستطاعوا قهر أمم كانت لا تعرف منهم حتى الأسماء ، وشادوا تلك الدولة الكبرى — ثم قال — :
ومن أجل ذلك ساد اتباع محمد بتشدده ، وأمتد سلطانهم على قسم كبير من الدنيا زمنا طويلا ، ولا تزال لهم خشية فى النفوس .

وقال الدكتور جوستاف أيضاً فى كتابه (تمدن العرب) نقلا عن كتاب (الاسلام فى عصر العلم) من الجزء الثانى بصحيفة (١١٢) :
العرب مع ولوعهم بالابحاث النظرية لم يهملوا تطبيقها على الصنائع فقد أكسبت علومهم لصنائعهم جودة عظيمة جداً ، واننا وان كنا لم نزل نجهل أكثر الطرائق التى سلكوها لذلك ، الا أننا نعرف نتائجها وآثارها ، فنعرف مثلا أنهم احتفروا المناجم واستخرجوا منها

الكبريت . والنحاس ، والزئبق ، والحديد ، والذهب ، وأنهم برعوا جداً فى صناعة الصباغة ، وأنهم مهروا فى سقى الفولاذ مهارة بعيدة المدى ، حتى ان صفاح طليطلة أصدق البراهين على ذلك ، ونعرف أيضاً أنه كان لمنسوجاتهم . وأسلحتهم . ومدبوغاتهم من الجودة ولورقهم شهرة عامة ، وانهم فى كثير من فنون الصنائع برعوا براعة لم يلحق لهم شأو فيها للآن . — ثم قال — : من بين المكتشفات المعزوة للعرب أشياء ذات شأن كبير كالبارود مثلا . وهذه المكتشفات لا يجمل بنا أن نسردها سرداً بل يجب علينا أن نبهها شيئاً من التفصيل . — الى ان قال — مما يتجلى للقارى ان ديوان المكتشفات العربية فى العلوم الطبيعية لا تقل فى الخاطرة والقدر عما لهم منها فى العلوم الرياضية والفلكية ومانسرده عليك هنا يعرب لك عن تلك الخطارة وذلك انه كان لهم معلومات عالية فى الطبيعة النظرية خصوصا فى نظريات الضوء والابصار وقد حفظ عنهم اختراعهم لاجهزة ميكانيكية من ادق مايعرف من نوعها واكتشافهم للجواهر التى تعد من اعظم اراكين علم الكيمياء مثل الكحول وحمض النيتريك وحمض الكبريتيك • وقد سجلت لهم اكبر العمليات الاساسية مثل التقطير مثلا وأثر عنهم استخدام الكيمياء لفن الصيدلة والصناعة وخصوصا لاستخراج المعادن وصنع الفولاذ والصبغ الخ وعرف عنهم عمل الورق من الخرق ويرجح انهم طبقوا البوصلة على فن الملاحة وأدخلوا هذا الاكتشاف الاساسى الى اوربا انتهى

هذا بعض ماقاله الدكتور جوستاف لوبون عن مدنيـة العرب

الاسلامية وحضارتها واكتشافاتها وصناعتها وفنونها الجميلة وهذا شيء لا يختلف فيه احد ممن درس التاريخ الاسلامي ومدنية الاسلام العربية غير ان المنصفين من الغربيين هم الذين صرحوا بها رغما عن الملاحدة والمبشرين الذين قد تعمدوا انكار الحقائق عموما بما كان للاسلام من رقي وعمران وحضارة سواء كان ذلك عن علم او عن جهل ولكل حظه من السعادة والشقاء والصدق والكذب

نظرية الاستاذ لاين بول

وجاء في تاريخ العرب في اسبانيا كلمة للاستاذ (لاين بول) وهي قال لبثت اسبانيا في قبضة المسلمين ثمانية قرون وضوء حضارتها الزاهرة يبهر أوروبا وازهرت بقاعها الخصبة بجهود الفاتحين وانشئت المدائن العظيمة في سهول الوادي الكبير ووادي يانا فلم يبق ثمة مايذكرنا بماضيها المجيد سوى الاسماء ، والاسماء فقط وتقدمت بها الاداب والعلوم والفنون دون سائر الاقطار الاوربية الاخرى فهرع اليها الطلاب من فرنسا والمانيا وانجلترا ليردوا مناهل العلم التي كانت تفيض على البلاد العربية دون غيرها وكان جراحوا الاندلس وأطباؤها من ابطال العلم ونوابغ الفنون ونبغت بقرطبة نسوة طبيبات شجعن على المثابرة في الدرس والتعمق في البحث ولم تثمر وتكتمل زهرة العلوم الرياضية والفلكية والنباتية والتاريخ والفلسفة والتشريع الافي اسبانيا العربية ومهر العرب الاسبان في الزراعة وطرق الري الفنية وفي فن التحصين

وبناء السفن وفى صناعة الغزل كذلك نبغوا فى فنون الحرب نبوغهم فى فنون السلام فلبثوا زمنا مديدا فى طليعة المتفوق الظافر وبينما كانت اساطيلهم تنافس الفاطميين سيادة البحر اذ بجيوشهم تحمل النار والسيف الى امم النصرانية فكل مايدعو الى عظمة امة وسعادتها وكل مايؤدى الى رقى باهر وحضارة سامية فاز به مسلموا اسبانيا انتهى •

هذا ماقاله لاين بول عن مدنية العرب فى الاندلس وانهم هم اساتذة الغرب فى عموم الفنون والعلوم والصنائع وكان بحثه منحصرا في الاندلس خاصة لان موضوع كتابه كان خاصا باسبانيا ولم يتعرض لحضارة الاسلام فى اقاليم الشرق عامة وعلى كل فقد كان من طبقة المنصفين الذين يتتبعون الحقائق ويذكرونها فى مصنفاتهم بصورة صحيحة طبق الاصل ولوان ذلك لايتفق مع مصلحة المبشرين منهم •

نظرية اسحاق طيلر

وجاء فى كتاب (الاسلام روح المدنية) فى الرد على كرومر للشيخ مصطفى الغلايينى بصحيفة (٣٨) نقلا عن (اسحاق طيلر) رئيس الكنيسة الانكليزية ببلاد الانكليز من خطاب فاه به فى مؤتمر الكنيسة انه قال الاسلام: ينشر لواء المدنية التى تعلم الانسان مالم يعلم والتى تقول بالاحتشام فى الملبس وتأمر بالنظافة والاستقامة وعزة النفس فمنافع الدين الاسلامى لاريب فيها وفوائدها من اعظم أركان المدنية ومبانيها • انتهى . فهذا اعتراف من رئيس كنيسة بمزايا الاسلام مع

ان القسس هم اشد الامة المسيحية تعصبا ضد الاسلام والمسلمين ولكن مع مافيهم لايخلو ان يكون واحداً منهم يتكلم بصراحة عن محاسن الاسلام ولو كان ذلك ضد مذهبه .

نظرية واشنطون

ونقل عن (واشنطون ابرفنج) انه قال القرآن فيه قوانين زكية سنية .

نظرية الاستاذ جيبون

ونقل عن (جيبون) انه قال القرآن مسلم به من حدود الاقيانوس الاتلانتيكى الى نهر الجانجس بانه الدستور الاساسى ليس لأصول الدين فقط بل للاحكام الجنائية والمدنية وللشرايع التى عليها مدار نظام حياة النوع الانسانى وترتيب شؤنه — وقال ايضا — ان الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعا فى احكامها من اعظم ملك الى اقل صعلوك فهى شريعة حيكت باحكم وأعلم منوال شرعى لا يوجد مثله قط فى العالمين . انتهى

هذا ماقاله الاستاذ (جيبون) عن القرآن المجيد وعن التشريع الاسلامى وكونه يشمل الناس جميعا وانه حيك باحكم منوال شرعى فاذا قابلنا بين قول هذا المستشرق وبين قول من ينتمى الى الاسلام

ذلك الذى يقول بكل وقاحة ليس فى القرآن تشريع منتظم فماذا تكون النتيجة . فلا شك ان يكون الاخير أجهل من الحيوانات العجم اذ ان المستشرقى يستطيع ان يفقه التشريع الاسلامى وذلك الذى يدعى الانتماء الى الاسلام والى القضاء الشرعى بجهله ولا يكتفى بالجهل بل يتعمد الالحاد فى الدين الاسلامى ولا يستحيي من الله والناس ذلك هو الخزى فى الدنيا ولعذاب الاخرة أخزى .

نظرية دوزى

وقال الاستاذ المستشرق الكبير (دوزى) بينما أهل اوروبا نائمون فى ظلام الجهالة لا يرون الضوء الا من سم الخياط اذ سطع نور قوى من جانب الامة الاسلامية من علوم وادب وفلسفة وصناعات واعمال يد وغير ذلك حيث كانت مدينة بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وفارس وغرناطة وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة المعارف ومنها انتشرت فى الامم واغتنم منها اهل اوروبا فى القرون الوسطى مكتشفات وصناعات وفنون عظيمة — وقال دوزى ايضا : فى كتابه (ملوك الطوائف) بصحيفة (٣٩٩) — اننا نرى ان الاسلام قد انتشر بسرعة مدهشة بين تلك الشعوب التى غزوها وهذه ظاهرة لم ير لها العالم مثيلا من قبل وهى تبدو لاول وهلة لغزاً مستسراً لا سبيل الى حله وتعليله لاسيما اذا عرفنا ان هذا الدين لم يكره أحدا على الدخول فيه وقد كان محمد يامر بالتسامح والاغضاء وقد وضع للمسلمين قاعدة الجزية

وفرضها على كل من لم يدن به من اهل الكتب المنزلة من اليهود والنصارى فمنحهم حريتهم الدينية على ان يدفعوا مافرضه عليهم من الجزية وزاد فى تسامحه فمنح هذه المزية لمن يقطن اقليم البحرين من المشركين — ثم قال — أضف الى هذا ان الحكم الاسلامى كان يتوخى التيسير والخير العام والبر بالشعوب المحكومة لاسيما النصارى ، فقد كان سواد المسيحيين فى الشرق ينتمى الى مذاهب لقيت من اضطهاد حكومة القسطنطينية واعناتها ما أرهق أصحابها ارهاقاً ، فلما جاء الاسلام ومن طبيعته التسامح والاخاء ترك لهم الحرية التامة فى البقاء على دينهم ما داموا يؤثرونه على غيره من الاديان ، وظللهم بحمايته وسوى بينهم فى الحقوق على اختلاف مذاهبهم وشتى نحلهم ، ولا تنسى انهم كانوا مضطرين الى دفع ضرائب فادحة للامبراطور الرومانى ، فلما جاء الاسلام أعفاهم منها ولم يفرض عليهم الا جزية معتدلة ، لا ترهق أحداً . ومتى عرفت هذه الأسباب زالت دهشتك وعجبك من ايثارهم حكم المسلمين على حكم الرومان ، واندفاعهم الى مساعدة العرب فى فتوحاتهم بكل قلوبهم وقواهم ، بدلا من مناوأتهم والتألب عليهم .

واذا كان ذلك كذلك فما بالهم لا يبقوا على دينهم ؟ وأى شىء حفزهم الى الدخول فى هذا الدين الجديد من غير أن يكرهوا على الدخول فيه . وهم يعلمون ان اسلامهم لا يرتاح اليه ملوكهم ؟ لقد تضافرت عدة أسباب على الوصول الى هذه النتيجة وقد ألمعنا آنفاً الى مايعود عليهم من الفائدة المادية اذا أسلموا لأن اعفاءهم من الجزية على اعتدالها كان مما يرغبهم فى

الاسلام وأضف الى هذا مايشعرون به من الكرامة الشخصية اذا أسلموا وأصبح لهم من الحقوق ما للمسلمين على ان اسلام المسيحى كان الخطوة الأولى الى الكرامـة والشعور بالعزة والزمن وحده كفيل بتحقيق مايليها من الخطوات ولن يلبث ابن المسيحى ان يصبح مسلماً اصيلا يتمتع بكل ما يتمتع به العربى من عزة وكبرياء — ثم قال دوزى فى صحيفـة (٤٠٥)—: لو صح ماقاله القساوسة من ان محمداً نبي منافق كذاب فكيف نعلل انتصاره ومبادئه وفتوحات اتباعه تترى، وتتلوا احداها الاخرى ومآل انتصاراتهم فى الشعوب لا تقف عند حد ؟ وكيف لا يدل ذلك على معجزة هذا الرسول ؟ ولقد كانوا يعتقدون اول امرهم ان خذلان المسلمين سيتم بمعجزة قريبة فقـد طالما سمعوا عن معجزات الكنيسة التى كانت تحدث لاقل مناسبة • وانتظروا هذه المعجزة التى تخلص البلاد المسيحية من غزوات المسلمين ولـكن انتظـارهم تلك المعجزات قد طال وذهب صبرهم أدراج الرياح وعبثاً حاولوا وقوع هذه المعجزة • وأعجب من ذلك ان المعجزة ان لم تقل معجزات قد حدثت حقاً فى ذلك العصر • وكانت معجزات أعظم مما كان يتوهمه القديسون أنفسهم واى معجزة أروع وأعجب من ان نرى شعباً كان الى زمن قليل فى غيابة من الخمول ثم ظهر الى الدنيا فجأة وظل يتقدم بسرعة لامثل لها وهو يغزو الارجاء الفسيحة وينتصر على قطر بعد قطر فتـدين له البلاد بالطاعة والولاء وتقبل على دينه من كل حدب وصوب راضية غير مكرهة • ولو اننا عزونا اقبال المسيحيين على الاسلام الى الفائدة الشخصية او الرغبة

فى التخلص من الذل والضعة فنحن جديرون ان نقرر ان من الثابت المحقق ان كثيراً من المسيحيين دانوا بالاسلام عن عقيدة وايمان . اه

هذا ماقاله المستشرق (دوزى) عن دين الاسلام . وتسامح الاسلام وحضارة الاسلام . وتمدن الاسلام . وأبان عن حالة المسيحيين وكيف كان دخولهم فى الاسلام طوعا باختيارهم بغير اكراه ولا اجبار رغبة منهم لكونهم وجدوه مهبط الرحمة . ومعدن الشفقة . ومأوى الحضارة الراقية وسبيل الخير والصراط المستقيم . وقد اعترف (دوزى) ايضاً بان القرآن كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى صحيفة (٦٨) بقوله : لا يفوتنا ان نذكر القارئ بأن القرآن هو كلام الله . وانه جعل الجواب على لسان نبيه محمد بقوله تعالى ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ . انتهى وكل ذلك كان من (دوزى) ليشرح لامته المسيحية عن حالة الاسلام الحقيقية ويرد على القساوسة فرياتهم التى اختلقوها على الدين الاسلامى تلك الاكاذيب التى لا تنطبق على الواقع . مع انه مسيحى مستشرق ولكنه يصرح بما ظهر له عن الدين الاسلامى . والامة العربية التى قامت بنشر الاسلام . وبث دعوته بين سائر الامم . واذاعت للملأ عموما ماجاء به الدين الحنيف من الهدى والصلاح والعدل والحرية والمساواة بين طبقات البشر . والذى يوجب الاسف ان الملاحدة الذين ينتسبون الى الاسلام اسمياً ينكرون كل ذلك بكل وقاحة وبغير خجل لانهم لم يقفوا على شىء من حقائق الدين الاسلامى ، ولن يقفوا لانهم فى شغل شاغل لما هم فيه من التخبط فى لجج الجهل والغباوة والارتباك والتشكيك

٤

نظرية الدكتورة فاليبري

وقالت الدكتورة (لورافيتشافاليبرى) الكاتبة الايطالية، فى كتابها (محاسن الاسلام) صحيفة (٣) هدأت فى أيامنا هذه نار الحقد والكراهية التى كانت تتأجج فى صدور الباحثين من الاوربيين فى الشؤن الاسلامية طول سنى القرون الوسطى، وفى جانب كبير من سنى العصر الحاضر، ولم يعد نبي العرب فى نظر أحد ممن يتصدون لهذه الأبحاث، ذلك المستحق لأحد الشتائم وأقذع عبارات السباب، حيث ظهرت فى العهد الأخير أبحاث ادعى أصحابها التزام جانب الحياد التام فيما كتبوه وزعموا انهم خالون من الغرض وسوء النية. الى أن قالت: ولما كانت النتائج وصل اليها هؤلاء الباحثون الغربيون غير متوفرة فيها الغيرة الصادقة الواجبة، فهى لهذه الأسباب لا تصلح لأن تكون أساساً لكتابة يقصد منها اطلاع الغربيين على كنه الديانة الاسلامية والشريعة السمحاء، اذ أن المستشرقين امثال (موير) و (اسبرنجر) والذين تلوهم أمثال (جولد زيهر) و (نولديكه) و (كاتيانى) وغيرهم الذين سلكوا فى النقد طرقا تختلف جد الاختلاف عن طرق البحث عند علماء المسلمين قد وصلوا الى التسليم بصدق محمد وخلوص نيته، والى التأكيد فى شيء كثير أو قليل من الوضوح بصحة استعداده بصورة لا تقبل الجدال لوحى حمدوا الى تفسير خفاياه، أما المتأخون منهم فقد استخلصوا أصول كل عنصر من عناصر العقيدة الاسلامية وبحثوا

ادوار نشوئها وارتقائها حتى وصلوا الى الاقتناع بان كثيراً مما يعتقد المسلمون انه منزل من عندالله على لسان محمد رسوله، ثم قالت فى صحيفة (١٠) فى بلدقفر بواد غيرذى زرع منعزل عن الانسانية المتمدنة ، تفجر ينبوع ماء سلسل عذب منعش بين قوم من الهمج جبابرة غلاظ القلوب لا يخضعون لسلطان ولا يتقيدون بقيد ، ذلك الينبوع هو دين الاسلام الذى تدفق بغزارة واتخذ سبيله فى الارض سربا . فكان نهيراً ، استحال بعده الى نهر عظيم ، سرعان ماتفرعت منه آلاف الجداول والأنهار التى تغلغلت فى البلاد طولا وعرضاً ، ولم يلبث الناس أن تذوقوا هذا الشراب العجيب وشفوا من أمراضهم الاجتماعية ، واتحد المختلفون منهم والمتخاصمون . وانطفأت نيران الحقد والكراهية المشبوبة فى صدورهم وزالت من بينهم أسباب النفور والخلاف ، استحال هذا الماء المقدس سيلا جارفا اكتسح بقوته الساحرة بلاداً عظيمة فثل عروشها وطوى مجدها طى السجل للكتب ، لم يشهد التاريخ حادثا مماثلا لهذا الحادث الخطير لأن السرعة العظيمة التى أتم بها الاسلام فتوحاته كان لها أبلغ الاثر فى حياته ، اذ انه بعد ان كان عقيدة نفر قليل من المتحمسين ، أصبح ديناً لعدة ملايين من الناس ، وليت شعرى كيف تأتي لهؤلاء المجاهدين غير المدربين أن ينتصروا على شعوب يفوقونهم مدنية وثروة ويزيدون عليهم دربة ومراساً للحروب . وكيف استطاعوا أن يبسطوا سلطانهم على بلاد متسعة الارجاء . وان يحتفظوا بفتوحاتهم هذه ويوطدوا هذا الصرح العظيم الذى ثبت امام حروب شديدة استمرت قرونا عديدة

فلم تقوى على هدمه ونقض بنيانه الشامخ المتين ، وكيف أمكن هـذا الدين أن يوطد فى نفوس أولئك المهتدين الحديثى الايمان أمتن الأسس، وكيف تسنى له أن يحتفظ بحيويته العظيمـة التى لم تعرف مثلها ديانة أخرى من قبل ، حتى بعد ثلاثة عشر قرنا خلت بعد حياة مؤسسه ؟ وكيف اسطاع هذا الدين أن يغرس تلك الحماسة الدينية فى نفوس أتباعه الجدد المختلفين عن أتباعه الأول فى الجنس والثقافة فحذوا حذوهم فى الاخلاص له والتضحية فى سبيله ؟ لعمرى ان هذا كله لما يبعث فى الانسان الشئ الـكثير من الدهشة والذهول . ثم قالت : أفليس من أكبر معجزات هذا الدين الجديد أن يؤلف بين قلوب أقوام كهؤلاء العرب عاشوا أجيالا عديدة فى مخاصمات شديدة ، وحروب أهليـة مستمرة فعرفوا بفضله الاتحاد ، والاخاء ، والسلام . أما الخلفاء الذين خلفوا محمداً فى حكم الدولة الاسلامية الذين كانوا تراجمة ضميره فقـد ساروا على سنته التى سنهـا لهم وحملوا راية الاسلام الى قلب القارة الاسيوية من جهة ، والى أمواج المحيط الأطلسى من الجهة الأخرى لم تكن قد مضت سوى ست عشرة سنة عند ما سقطت دولة الفرس فى أيدى العرب بعد موقعة القادسية ، مع أن هذه الامبراطورية ظلت مدى أجيال عديدة فى عراك مستمر مع الامبراطورية الرومانيـة الشرقية بدون أن تتغلب احـداهما على الآخرى ، أما ملك الفرس كسرى فقد ضرب من العرب وجعل يلجأ الى اقليم بعد اقليم حتى بلغ حدود بلاده ، ومات فى سنة ٣١ هجرية ، وبذلك صارت امبراطورية الفرس

بأجمعها بلاداً عربية، بعد أن زالت مدنيتا الدولتين الفارسية، والرومانية، وتهدمت دياناتهما، سرى فى عروق الشعوب تيار جديد، وانتشرت بينهم ديانة جديدة بسيطة تتحدث الى العقل، والى القلب معاً، كما ظهر نظام جديد للحكم يفضل كثيراً تلك النظم التى كانت متبعة هناك فى ذلك الوقت نظراً لمبادئه الخليقة القويمة، كذلك انتقل مال المجوس من خزائن الأشراف الى أيدى الفقراء وعامة الشعب، وأخذت تتناوله الأيدى مرة ثانية وتستفيد من ثمراته، وقد ظهر فى الحكم رجال أذكياء مستنيرون أقاموا حكومة رشيدة تستند الى آراء ديمقراطية صحيحة، وقد تدرجوا فى الحكم وتبوؤا أسمى المراكز، ثم لما هدأت عاصفة الفتوحات وما تبعها من فوضى وتعسف، بدأ عهد جديد عهد نجاح وثراء لم تره القارة الاسيوية منذ قرون بعيدة، كما أن المقهورين كانوا يجدون من حكامهم الجدد كل ضمان لطمأنينتهم ويتمتعون بكافة حقوقهم المشروعة كما أن أرواحهم وأملاكهم كانت مكفولة، وبالجملة كانوا يعاملون معاملة اخوانهم المسلمين سواء بسواء. أخذ الناس الذين دهشوا لهذا الانقلاب الاجتماعى الدنى السياسى يتساءلون عن سببه الأول ولكن الكثيرين منهم كانوا لا يبصرون، أو تعمدوا اغماض عيونهم فظلوا يتخبطون طويلا فى مجاهل الغلط والشطط ولم يدركوا أن القوة الالهية هى التى أعطت الاشارة الأولى لهذه الحركة المباركة الواسعة النطاق، ولم يشاؤا أن يصدقوا أن الحكمة الالهية هى التى اقتضت أن يكون محمداً خاتم الأنبياء والمرسلين، وسجلت له الى

الآن رسالة عامة الى الناس أجمعين بغير تمييز بين جنس وجنس ، أو بين بلد وبلد .

وهنا أخذت الدكتورة الايطالية تذكر فريات المبشرين وبعض المستشرقين من الاوروبيين وترد عليهم فرياتهم وتقص على القراء أخبار البعثة النبوية بمكة ، والهجرة الى المدينة ، ومعادات اليهود له ﷺ بالمدينة ، وتسامحه وتغاضيه فى كثير من الأشياء الى أن قالت : وكما كان النبي يعقد المعاهدات مع خصومه المغلوبين على أمرهم فكذلك فعل الخلفاء اذ كانوا كلما تمادوا فى الظفر والانتصار يرتبطون مع المقهورين بأوثق المعاهدات ويتركون لهم الحرية فى البقاء على دينهم وتقاليدهم القديمة فى مقابل اداء فريضة هينة غاية فى الاعتدال وهى (الجزية) التى كانت أقل بكثير مما كانوا يدفعونه من الفرائض لحكوماتهم السابقة ، وكان الخلفاء يشملون رعاياهم هؤلاء الذين كانوا يسمونهم أهل الذمّة بحماية ورعاية لا تقلان عما كان يتمتع به المسلمون ، ولما كانت تعاليم النبي وخلفائه الأول تعتبر بمثابة قانون للمسلمين فانه يمكن القول بحق أن الاسلام لم يقتصر على التوصية بالتسامح ، بل انه قد أدمجها فى قانونه السماوى بحيث صارت قاعدة أصلية من أصول الدن ، فعند ما كان يتم الصلح مع الشعب المقهور كان المسلمون يتركون له حرية الفكر وحرية العقيدة ولم يحاولوا حمله بالعنف على تغيير عقيدته الاولى كما انهم لم يرسلوا مع جنودهم الظافرة حملة من جماعات الوعاظ والمبشرين الرسميين ألّلجوجيين بقصد نشر الدين . الى أن قالت : حسبنا ما قدمناه

من الأدلة والبراهين ، لأن رجال الغرب أيضاً قد بدأوا يقتنعون بأن اخلاص محمد فى دعوته كان أمراً لا ريب فيه ، ولقد كان محمد كرسول يدعو الى الله ، رجلا رحيما لين الجانب حتى لأعدائه الشخصيين ، وبذلك اجتمعت فيه فضيلتان كلتاهما أكبر الفضائل التى يتصورها العقل البشرى وهما الرحمة والعدالة ، ولا نرى بنا من حاجة الى ايراد الأمثلة على ذلك ، فمن السهل الوقوف على كثير منها فى الكتب الموضوعة عن تاريخ حياته ، وبحسب ان الحرب التى هى أقصى ضرورات الحياة الانسانية قد صارت بفضله أقل وحشية وقسوة ، اذ انه كان يطلب الى جنوده الا يقتلوا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ، ولا يهدموا بيوتا لم تتخذ كمعاقل حربية ، ولا يدمروا ما بها من اسباب الحياة ولا يمسوا الاشجار المثمرة والنخيل . ثم قالت : والآن وقد انتهينا من الرد على تلك التهم التى وجهت الى الاسلام فى الغالب نضع هذا السؤال ، كيف لم ينقطع الاسلام عن الانتشار والذيوع فى افريقيا ، وآسيا ، رغم حرية الاعتقاد الكبيرة التى يتمتع بها غير المسلمين فى البلاد الاسلامية ، ورغما عن عدم وجود نظام للدعاية الاسلامية ، ورغما من الانصراف عن الاهتمام بالشؤن الدينية فى هذه الايام الأخيرة وهو الآن لا يسبقه سيف الفاتحين ، بل على النقيض من ذلك فان البلاد التى كانت ترفرف فوقها رايته أصبحت محكومة برجال ذوى عقائد أخرى ولم يستطيعوا مع ذلك أن يصرفوا رعاياهم عنه أو يقتلوه من قلوبهم ، فأية قوة عجيبة تنطوى عليها هذه الديانة ؟ وما هى قوة الاقناع التى تستند اليها ؟ وفى

أية عروق النفس البشرية تجد غذاءها وقوام حياتها ؟ الى أن قالت فى صحيفة (٥٠) ان الناس لتتلهف على دين يتفق وحاجاتهم ومصالحهم الدنيوية ولا يكون قاصرا على ارضاء مشاعرهم واحساساتهم ويريدون ان يكون هذا الدين وسيلة لامنهم وطمأنينتهم فى الدنيا والآخرة وليس هناك من دين تتوفر فيه هذه المزايا كلها بشكل رائع سوى دين الاسلام أنه ليس مجرد دين فحسب ، بل ان فيه حياة للناس ، لأنه يعلمهم كيف يحسنون التفكر والكلام ، ويحضهم على فعل الخير وصالح الاعمال ، ولذلك سرعان ما شق طريقه الى القلوب والأفهام اه وقد تطرقت هذه الفتاة الفاضلة الى كثير من المسائل الخلافية الواقعة بين الاسلام والنصرانية واليهودية ، ورجحت بالأدلة المنطقية والسياسية جانب الدين الاسلامى ، وقد اقتصرت على ما تقدم خشية الاطالة . ولا ادرى اذا وقف الملاحدة على ابحاث هذه الفتاة الفاضلة ما ذا يكون موقفهم ؟ ايخجلون من جهلهم العميق ؟ أم يتمادون فى غباوتهم ؟ والظاهر أنهم فى غباوتهم يعمهون لانهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا يفهمون .

نظرية داود اركوهات

وجاء فى كتاب (الاسلام روح المدنية) ايضاً عن (داودار كوهات) انه قال : ان الاسلام دين لا يأمر باتباع عقائد جديدة . ولا يقول بانزال وحى جديد . وسنن جديدة . وليس فيه كهنوتية . أو معابد سياسية بل فيه دستور الامم ونظام الممالك . اه

وكان مراده الرد على المذاهب المسيحية التى قد حرفتها القساوسة من زمن بعيد . وأخرجت مذهب المسيح عليه السلام عن كل ما نزل على عيسى من الانجيل الصحيح . وتصرفت فيه على حسب مرادها .

نظرية ليون روش

وجاء فيه ايضاً نقلا عن جريدة (اللواء المصرية) ما عربته عن كتاب عنوانه (ثلاثين عاما فى الاسلام) ألفه موسيو (ليون روش) السياسى الفرنسى الذى اقام فى بلاد المسلمين ثلاثين سنة . تعلم فى اثنائها اللغة العربية وفنونها . وقرأ العلوم الاسلامية . وعاشر المسلمين فى الجزائر وتونس والاستانة ومصر والحجاز . وقد اختبر بهذه المدة الطويلة أحوال المسلمين من سائر الطبقات . ولا شك انه قد اطلع على شىء من الكتب الاسلامية المدونة فى العقائد والتشريع . واليك الجملة المعربة . قال موسيو ليون روش : اعتنقت دين الاسلام زمناً طويلا لأدخل عند الامير عبدالقادر دسيسة من قبل فرنسا . وقد نجحت فى الحيلة فوثق بى الأمير وثوقا تاما . واتخذنى سكرتيراً . فوجدت هذا الدين الذى يعيبه الكثير أفضل دين عرفته . فهو دين انسانى طبيعى اقتصادى أدبى ولم أذكر شيئاً من قوانيننا الوضعية الا وجدته مشروعا فيه . بل اننى عدت الى الشريعة التى يسميها (جول سيمون) الشريعة الطبيعية . فوجدتها كأنها أخذت عن الشريعة الاسلامية أخذاً . ثم بحثت عن تأثير هذا الدين فى نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة .

وشهامة ووداعة وجمالا وكرما . بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف . فى عالم لا يعرف الشر واللغو والكذب . فالمسلم بسيط لا يظن بأحد سوءاً . ثم هو لا يستحل محرما فى طلب الرزق . ولذلك كان اقل مالا من الاسرائيليين ومن بعض المسيحيين . ولقد وجدت فيه حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طراً — الاولى — فى قول القرآن ﴿ انما المؤمنون اخوة ﴾ فهذه أجمل مبادىء الاشتراكية — الثانى — فرض الزكاة على كل ذى مال وتخويل الفقراء حق أخذها غصباً ان امتنع الاغنياء عن دفعها طوعا وهذا دواء الفوضية .

هذا ما قاله الموسيو ليون روش الفرنسوى عن التشريع الاسلامى ومافيه من الحكم التى تزيل من المجتمع الانسانى (الاشتراكية والفوضية) غير أن ماقاله فى مسألة الزكاة من كون التشريع الاسلامى يخول للفقراء حق أخذ الزكاة من الاغنياء غصباً اذا امتنعوا عن أدائها ، لم يكن الامر فى الاسلام كما قال ، فان الشريعة الاسلامية لم تخول للفقير أن يأخذ الزكاة من الغنى قهراً اذا امتنع عن دفعها له ، وانما خولت ذلك للخليفة أو أمير المؤمنين ، أو السلطان ، كما عمل الخليفة الاول ابو بكر الصديق رضى الله عنه فى قتال من امتنع عن الزكاة .

ثم قال الموسيو (ليون روش) عن الدين الاسلامى اجمالا : انه دين المحامد والفضائل ، ولو انه وجد رجالا يعلمونه الناس حق التعليم ويفسرونه تمام التفسير لكان المسلمون اليوم أرقى العالمين وأسبقهم فى كل الميادين

والكن وجد بينهم ويالأسف شيوخ يحرفون كلمه ويمسخون جماله . ويدخلون فيه ما ليس منه . الى آخر كلامه .

هذا ما يقوله ليون روش عن محاسن الاسلام ، وقد صدق فى قوله : لو انه وجد رجالا يعلمونه الناس حق التعليم . وقوله : ويالأسف وجد بينهم شيوخ يحرفون كلمه ، الخ . فان الدين الاسلامى أصيب بكثير من المصائب الداخلية والخارجية ٠ وكانت مصائبه الداخلية أشد وأشنع وأفظع من مصائبه الخارجية . وذلك قد دخل على الدين الاسلامى بعد عصر الخلفاء الراشدين كثير من البدع والخرافات والعقايد الفاسدة من معتزلة وروافض ودهريين والحاديين ومشككين ودجالين ومشعوذين وقصاصين خرافيين ، وأخذ هذا الحال يتطور بحسب تطور الازمان ويتسع نطاقه الى هذا العصر الذى أصبح معظم المسلمين فيه بعيدين عن التمسك بأساس الدين الاسلامى الصحيح الذى كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من بعده ، حيث قد كثر التفرنج فى المنتسبين اليه وطغى سيل الالحاد والتشكيك حتى كاد يجترف معظم الشبيبة الاسلامية ، بسبب أن اكثر اساتذة المدارس فى البلاد الاسلامية المستعمرة الحاديون ويزعمون انهم من المسلمين لكون آبائهم كانوا مسلمين وسموهم بأسماء المسلمين ؛ وما نسبتهم الى الاسلام الاخدعة لاغراء آباء التلامذة ، والا فهم من أذناب المبشرين وقد ساعدتهم الظروف حال غفلة المصلحين من المسلمين وجهل آباء التلامذة الذين رمتهم الاقدار فى تلك المدارس التى قد تربع على كراسى التدريس فيها وفى الاندية والمجتمعات أناس لم يدخل

الايمان فى قلوبهم من أصل نشأتهم وان سموا انفسهم بأسماء المسلمين . واخذوا يلقون على مسامع تلك الناشئة الاسلامية صنوف الالحاد ، والتشكيك ، والطعن فى القرآن المجيد ، والتشنيع على التشريع الاسلامى والحط من كرامة رجال العلم والاصلاح ، أولئك الذين هم سلف الامة الاسلامية الصالح ، ويشككونهم فى صحة كتب الاسلام التى دبجها يراع فطاحل العلماء الأمجاد الذين قد ضحوا حياتهم فى خدمة الاسلام والمسلمين ، ويرمون مؤلفيها بالجمود والرجعية والغفلة والوهم والجهل والغباوة ، وان عموم مادونوه حديث خرافة لا أصل له ، مع انهم هم بذلك أجدر ، وأصبح ويا للاسف أن هؤلاء المردة أخوان الشياطين هم أكثر عدداً في [illegible] من رجال الاصلاح فى كثير من البلاد الاسلامية وبالأخص فى البلاد المستعمرة ، وصار رجال الاصلاح مكتوفى الايدى ، مكمومى الافواه ، لا يستطيعون أن ينبسوا ببنت شفة الاوقد تكالب عليهم رجال الاستعمار ، والتبشير ، وفى مقدمتهم الملاحدة المنتسبون الى الاسلام خدعة ، ومن ورائهم آباء التلاميذ أولئك الذين لا يعرفون من الاسلام غير اسمه ، لان غايتهم من تعليم أبنائهم فى تلك المدارس هو حب الشهرة وكون أبنائهم يخرج أحدهم من المدرسة وهو يحمل تحت ابطه شهادة مهندس ، أو محام ، او كيماوى ، ولو فقد فى سبيل ذلك دينه وجامعته الاسلامية ، حيث لا يهم ذلك الأب الغبي من أمر دينه شيء لجهله بالدين وما جاء به سيد المرسلين من عند رب العزة من الهدى ودين الحق وربما كان ظنه على ان الدين الاسلامى هو عبارة عن

الجنسية الاسلامية فقط . والذى جعل الآباء بهذه الصفة من الجهل هو اهمال آبائهم وولات أمرهم لهم لكونهم لم يعلموهم على الاقل مبادىء الدين الحنيف . أليس من الخجل أن يكون الموسيو (ليون روش) عرف ذلك وكثير من المسلمين يجهلونه . هذا ما دعانى الى التعليق على كلامه . والله الهادى الى صراطه المستقيم .

نظرية روبرتسون

وجاء فى كتاب (الاسلام روح المدنية) ايضاً عن (روبرتسون) المؤرخ الانكليزى الشهير بصحيفة (٦١) ماخلاصته: فى الزمن الذى كان يتدارس فيه العرب هذه العلوم وينشرونها فى بلادهم كانت اهالى أوروبا فى حالة لازالوا اهم زواتهم يندبونها حتى اليوم ، ولم يستفيقوا من ذلك الجهل المفرط والنوم العميق الا بواسطة شروعهم فى تلك الغزوات الصليبية الوحشة التى أجروها مع المسلمين بقصد استخلاص البلاد المقدسة من أيديهم ، وحيث مروا فى غزواتهم هذه وسيرهم جهة بلاد أورشليم بأرض نضيرة اكثر من أراضيهم وبدول متمدنة اكثر من دولهم ، ووجدوا فى آسيا آثار تلك العلوم والفنون التى كان أسسها واعان على تحصيلها الخلفاء العباسيون . اه

فهذا الاستاذ (روبرتسون) الانكليزى يصرح بأن غزوات أوروبا للمسلمين فى فلسطين كانت وحشية ، وان تمدن الاسلام كان أفضل من تمدن أوروبا ، وان عمران المسلمين كان ابهى وأجمل من عمران أوروبا

فعسى بعد هذا أن يخجل الملاحدة ومن على شاكلتهم مما هم فيه ويتركوا التشنيع الباطل الذى يختلقونه ضد الاسلام والمسلمين .

نظرية لوثروب

وقد ذكر (لوثروب ستودارد) الامريكى فى كتابه (حاضر العالم الاسلامى) فى المقدمة عن الاسلام ماخلاصته قال : كاد يكون نبأ نشوء الاسلام النبأ الاعجب الذى دون فى تاريخ الانسان ، ظهر الاسلام فى أمة كانت من قبل ذلك العهد متضعضعة الكيان ، وبلاد منحطة الشأن ، فلم يمض على ظهوره عشرة عقود حتى انتشر فى نصف الارض ، ممزقا ممالك عالية الذرى مترامية الاطراف ، وهادما أديانا قديمة كرّت عليها الحقب والاجيال ، ومغيراً مابنفوس الامم والاقوام ، وبانياً عالماً حديثاً متراص الاركان ، هو عالم الاسلام ، الاسلام الذى نشأ فى بلاد صحراوية تجوب فيافيها شتى القبائل الرحالة التى لم تكن من قبل رفيعة المكانة والمنزلة فى التاريخ ، فلسرعان ماشرع يتدفق وينتشر وتتسع رقعته فى جهات الارض مجتازاً أفدح الخطوب وأصعب العقبات ، دون أن يكون له من الامم الاخرى عون يذكر ولا ازر مشدود ، وعلى شدة هذه المكاره فقد نصر الاسلام نصراً مبيناً عجيباً ، اذ لم يكد يمضى على ظهوره اكثر من قرنين حتى باتت راية الاسلام خفاقة من (البرانس) حتى (حملايا) ومن صحارى اواسط آسيا حتى صحارى اواسط أفريقية . كان لنصر الاسلام هذا النصر الخارق عوامل ساعدت عليه ، اكبرها أخلاق العرب ، وماهية

تعاليم صاحب الرسالة وشريعته ، والحالة العامة التى كان عليها المشرق المعاصر فى ذلك العهد . ان العرب وان كان ماضيهم مابرح منذ عهد متطاول فى القدم حتى عصر الرسالة ماضياً غير مشرق باهر ، فقد كانوا أمة استودعت فيها قوة عجيبة ، تلك القوة الكامنة التى بدأت منذ نشوء الاسلام تظهر جلية الى عالم الوجود ، فقد ظلت بلاد العرب أجيالا طوالا من قبل محمد مباءة يشتد فيها تذخار القوى الحيوية ، وجيشان العوامل الروحانية كيف لا وكان العرب قد فاقوا آباءهم وأجدادهم ايغالا فى الشرك والوثنية وانقضى عليهم وهم على هذه الحالة عهد ليس بالقليل حتى استحالت عناصر أمزجتهم من شدة ذلك كله فصاروا تواقين بفعل غرائزهم وأخلاقهم الى تبديل حالهم وتحسين شأنهم . هكذا كانت حالتهم العقلية والنفسانية حالة الاستحالة الكبرى والانقلاب العظيم والاستعداد الكبير ، لما صاح فيهم نفير الاسلام أن محمداً وهو عربى من العرب ، الا ّ(١) روح قومه متجسدة ونفسهم متجسمة ، استطاع محمد وهو يبشر بالوحدانية تبشيراً عاريا عن زخارف الطقوس والاباطيل أن يستثير حق الاستثارة من نفوس العرب الغيرة الدينية ، وهى الغيرة الكامنة متمكنة على الدوام فى كل شعب من الشعوب السامية ، واذهبّ العرب لنصرة دعوة ابن عبدالله من بعدما ذهبت من صدورهم الاحن المزمنة والعداوات الشديدة التى كان من شأنها من قبل الذهاب بحولهم وقوتهم ، وانضم بعضهم الى بعض كالبنيان المرصوص تحت لواء الرسالة فى رأسه نور للناس وهدى للعالمين . اخذوا

(١) هكذا وجدت هذه الجملة بهذه الالفاظ

يتدفقون تدفق السيل من صحاريهم فى شبه الجزيرة ليفتحوا بلاد الاله الاحد ، الفرد ، الصمد ، — ثم ذكر هنا ما كانت عليه فارس والروم من الانحطاط الاخلاقى والدينى الى أن قال — : ولم يمض سوى اليسير من الزمن حتى كان السواد الاعظم من هذه الامم المغلوبة قد دخل فى دين النبي العربى أفواجا ، ايثاراً له بجدته وسذاجته على ذينك الدينين اللذين صارا غاية فى الانحطاط والتدنى . وقد عرف العرب بدورهم كيف يستدنى الحكم ويوثق السلطان حتى دانت لهم أمور الملك واستقرت نقطة دائرتها فى أيديهم ، فالعرب لم يكونوا قط أمة تحب اراقة الدماء وترغب فى الاستلاب والتدمير بل كانوا على الضد من ذلك ، أمة موهوبة جليل الاخلاق والسجايا تواقة الى ارتشاف العلوم محسنة فى اعتبار نعم التهذيب

وقد اتى (لوثروب) على حالة تضعضع الاسلام بعد شموخه • وعن الاسباب التى دعت الى ذلك بحسب ماظهر له وعن حالة الاسلام فى العصر الحاضر وحيث لم يكن ذلك من بحثنا فى هذا الكتاب فقد اكتفينا بما تقدم ذكره ومنه يتضح للقارئ اعترافه بأن دين الاسلام هو دين العدل والحرية والحضارة والمدنية والتقدم والرحمة والشفقة •

وجاء فى كتاب (الاسلام فى عصر العلم) للاستاذ فريد وجدى فى الجزء الاول بصحيفة (٢٧٧) عن المؤرخ (دروى) احد وزراء فرنسا السابقين انه قال : بينما أهل اوروبا تائهون فى دجى الجهالة لا يرون الضوء الا من سم الخياط اذ سطع نور قوى جانب الامة الاسلامية من علوم وادب وفلسفة وصناعات واعمال يد وغير ذلك حيث كانت مدينة بغداد

والبصرة ، وسمرقند ، ودمشق ، والقيروان ، وبصرى ، وفارس وغرناطة ، وقرطبة . مراكز عظيمة لدائرة المعارف ومنها انتشرت فى الامم واغتنم منها اهل اوروبا فى القرون المتوسطة صناعات وفنونا .

نقل المؤرخ (سيديو) عن (هومبلد) ان العرب خلقهم الله ليكونوا واسطة بين الامم المنتشرة من شواطئ الفرات الى الوادى الكبير باسبانيا وبين العلوم وأسباب التمدن فتناولتها تلك الامم على ايديهم لان لهم بمقتضى طبيعتهم حركة تخصهم اثرت فى الدنيا تأثيراً لا يشبه بغيره — ثم قال — : وهذه حجة على انهم كما قال غيرنا ونحن نعترف به (اساتذتنا ومعلمونا) اه وهذا اعتراف منه صريح بأن العرب يعنى المسلمين هم اساتذتهم ومعلموهم والمعترف هذا وزير من وزراء فرنسا كما ذكرناه .

نظرية الاستاذ درابر

وجاء فيه ايضاً عن الاستاذ (درابر) استاذ كلية (نيويورك) بأمريكا بصحيفة (٢٧٨) انه قال : ان اقوى واكبر الممالك الدينية التى لم ير العالم مثلها قد ولدت فجأة ، وامتدت من المحيط الاتلانتيكى الى اسوار الصين ، ومع ذلك فلم تك قد بلغت نهاية ما قدر لها من الامتداد والنفوذ فلقد اتى عليها بعد ذلك حين من الدهر طردت فيه خلفاء القياصرة وملكت بلاد اليونان ، ونازعت النصرانية السلطة على اوروبا ، ونشرت نفوذ عقائدها خلال الصحارى الوحشة ، والغابات الموبوءة ، من اول شواطئ البحر الابيض الى خط الاستواء ، لقد طافوا (اى العرب) معاهد

الفلسفة والعلم بسرعة تشبه السرعة التى طافوا بها مملكة الرومان . انا لتاخذنا الدهشة أحيانا لما نـجـد فى كتبهم آراء علمية كنا نظنها نشأت فى هذا القرن ، من هذا القبيل مذهب النشوء والترقى للكائنات العضوية فقدكان يدرس فى مدارسهم .

وقال الاستاذ (درابر) عن مدنية الاسلام ، والامة العربية : ان خلفاء الاندلس كانوا محاطين بأنواع الأبهة التى هى من لوازم الحياة الشرقية ، وكان لهم قصور عامرة ، وحدائق زاهرة ، وسرايات (اى قصور) يعمرها الجلالة والجمال ، وان اوروبا الحاليـة (اى فى حالتها العصرية) لاتعلو فى حسن الذوق والرقة والظرف فى شىء من أشيائها عما كان فى العواصم ، مضاءة بالليل ، مبلطة تبليطاً متقناً ، وكانت البيوت مفروشة بالبسط ومزينة حوائطها بالنقوش ، وكانت تسخن فى الشتاء بالمدافىء ، وترطب فى الصيف بتيارات من النسمات العطرة تصل اليها من سراديب تحت الارض مغطاة فوهتها بالأزهار الزكية ، وكان لهم حمامات ومكاتب ، ومحلات للغذاء ، وفوارات للمياه والزئبق ، وكانت المدائن والارياف حافلة بالاحتفالات والرقـص الذى كانوا يأتونه على نغمـة (العود) و (المزهر) وكان شعار العرب فى ملاعبهم القناعة وطلاقة النفس ، بخلاف جيرانهم الغربيين فقدكان ديدنهم النهم فى الاكل والادمان للسكر ، وكان الخمر حراما عليهم لا يقربونه ، وكانوا يتمشون فى حدائقهم فى الليالى القمرية وفى غياضهم المنعزلة المزروعة برتقالا ، وهم يصغون الى قصة ادبية او يتحاورون فى بعض المواضيع الفلسفية ، مسلين أنفسهم

عن أحزان الدنيا بقولهم : انها لوكانت خالصة من شوب الآلام لانستنا الحياة الآخرة ، وراضين بالكد والتعب فى المعيشة الارضية املا فى نوال الرحمة الاخروية الدائمة .

وجاء فى كتاب (الاسلام دين عام خالد) بصحيفة (١٠٦) عن الاستاذ (درابر) ايضاً انه قال : سلك العرب الى اوروبا المسلك نفسه الذي سلكته ادبياتهم ، وطريق جزيرة صقلية ، ومما ساعد على انتشاره فى اوروبا اعتزال البابوات فلهذا السبب تمكن العلم العربى من ترسيخ قدميه فى جنوب ايطاليا — الى ان قال — : واول مدرسة انشئت للطب فى اوروبا هى المدرسة التى أسسها العرب فى (بالروم) من ايطاليا ، واول مرصد اقيم فيها هو ما اقامه المسلمون فى اشبيلية باسبانيا — ثم قال — : ولو اردنا ان نستقصى كل نتائج هذه الحركة العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جداً ، وأوجدوا علوما اخرى لم تكن موجودة من قبلهم — ثم قال — : ان اوروبا فى ذلك العهد كانت غاصة بالغابات الكثيفة من اهمال الناس للزراعة ، وكانت المستنقعات قد كثرت حوالى المدائن فكانت تنتشر منها روائح قتالة اجتاحت الناس واكلتهم ، ولا مغيث لهم ، وكانت البيوت فى (باريز) و (لندن) تبنى من الخشب والطين المعجون بالقش والقصب ، ولم يكن فيها نوافذ ولا ارضيات خشبية ، اما الابسطة فكانت مجهولة لديهم ، وكان يقوم مقامها القش ينشرونه على الارض نشراً ، ولم يكونوا يعرفون المداخن فكان الدخان يطوف البيت ثم يتسرب من ثقب صنعوه له فى السقف ، فكان

الناس فى هذه البيوت معرضين لكل أنواع الاصابات الخطيرة ، وكان الناس لا يعرفون معنى النظافة فيلقون بأحشاء الحيوانات وأقذار المطابخ امام بيوتهم اكواما اكواما ، تتصاعد منها روائح قاتلة ، ولا رقيب ولا حسيب وكانت الاسرة الواحدة تنام فى حجرة واحدة من رجال و نساء وأطفال وكثيراً ما كانوا يؤون معهم الحيوانات المنزلية ، وكان السرير عندهم عبارة عن كيس من القش فوقه كيس من الصوف كمخدة ، وكانت النظافة معدومة لديهم لا يعرفون لها رسما ، وكان الغنى منهم لا يأكل اللحم الا كل اسبوع مرة ولم يكن للشوارع مجار ولا بلاط ولا مصابيح . هذه الجهالة كان من اثرها على اوروبا ان عمتها الخرافات والاوهام فانحصر التداوى فى زيارة الاماكن المقدسة ، ومات الطب واحييت احابيل الدجالين. وقد كان اذا دهم البلاد وباء فزع رجال الدين الى الصلاة ولم يلتفتوا لامر النظافة ، فكانت تفتك بهم الاوباء فتكا ذريعاً ، حتى انها زارت اوروبا عدة مرات فاجتاحت الملايين من اهلها فى ايام معدودة وقد كان الموت فى اوروبا فى هذه العصور بنسبة واحد الى ثلاثة وعشرين ، فصار اليوم واحدا الى اربعين — ثم قال — : لم تكن أوروبا العصرية بأعلى ذوقاً ولا أرقى مدنية ولا ألطف رونقاً من عواصم الاندلس على عهد العرب .

ثم اخذ الاستاذ (درابر) يوصف مدنية العرب بالاندلس من عموم نواحيها بصفات لا نظير لها فى أوروبا اليوم . وكل ما ذكرته من قوله المتقدم هو صورة مصغرة عن حالة أوروبا فى همجيتها التى كانت عليها فى العصور التى كان الاسلام فيها سيد العالم والامم . وقد أسهب غيره من

الاوروباويين والامريكان فى مدنية الاسلام وحضارته وعمرانه فتركت نقله خشية الاطالة لان ذلك معلوم عند كل باحث ، ومزاول لقراءة التاريخ ولايجهله الا كل غبي أحمق.

وقال الاستاذ (درابر) ايضاً عن المكاتب العمومية بالاندلس : ولقد دأبوا على جمع الكتب بصفة منتظمة لاجل أن يتصلوا الى تكوين المكاتب التى تكلمت عنها. وقد اشتملت مكتبة خلفاء الاندلس على ستمائة ألف مجلد ، وكانت قائمة أسمائها وحدها واقعة فى اربعة واربعين مجلداً ، وغير هذا فقد كان بالاندلس سبعون مكتبة عامة ، وكثير من المكاتب الخاصة ، واما المؤلفات الحديثة فقد كان من عادة اساتذة الجامعة ان يؤلفوا كتباً فى الفروع العلمية التى تطلب منهم ، وكان لكل خليفة مؤرخ خاص يكتب تاريخه. ولقد كتبوا فى كل فن. وفى كل علم كالتاريخ والتشريع والسياسة والفلسفة والتراجم وتراجم الخيول والابل. وكل هذه المؤلفات كانت تنشر بدون رقابة ولاحجر. وقد كانت الكتب ذاخرة بالمعلومات التى تصلح لان تتخذ مادة كثيرة جداً فى الجغرافيا والاحصاءات والطب والتاريخ وقواميس اللغة. وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد ابى عبدالله. وكان للعرب ذوق دقيق فى صنع الورق النظيف الناصع البياض. وفى اعطاء المداد الالوان المختلفة. وفى زخرفة وجوه الكتب بتشبيك تلك الالوان المختلفة من المداد والابداع فى تمنيقها وتذهيبها على صور شتى. وكان الملك الاسلامى العربى يغص بالمدارس والمكتبات وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والاندلس. حاصلة على عدد عديد

منها . وكان فی طرف من اطراف هذه المملكة الواسعة التی فاقت المملكة الرومانية كثيراً (مرصد) فی سمرقند لرصد الكواكب . وكان يقابله فی الطرف الآخر (مرصد) جيرالـ فی الاندلس

ثم قال الاستاذ (درابر) : ولو أردنا ان نستقصی كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب . فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جداً . وأوجدوا علوماً جديدة لم تكن معروفة قبلهم . والفلكيون من العرب قد اهتموا ايضاً بتحسين آلات الارصاد وتهذيبها . وبحساب الازمنة بالساعات المختلفة الاشكال . والساعات المائية . والسطوح المدرجة الشمسية . وهم اول من استعمل البندول (الرقاص) لهذا الغرض . اما فی العلوم (التجريبية) فقد اكتشفوا الكيمياء وبعضاً من محلولاتها الشهيرة (بحمض الكبريتيك) و (حمض النتريك) و (الكحول) وقد استخدم العرب علم الكيمياء فی الطب لانهم اول من نشر علم تحضير العلاجات و (الاقرباذينات) واستخراج الجواهر المعدنية اما فی علم (الميكانيكا) فانهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط الاجسام وكانوا عارفين كل المعرفة بعلم الحركة ، اما فی (الايدروستاتيك) فقد كانوا اول من عمل الجداول المبنية لضروب الاوزان النوعية ، وكتبوا ابحاثاً فی الاجسام السابحة ، والغائصة تحت الماء ، اما فی نظريات (الضوء والابصار) فقد غيروا الرأی اليونانی الذی مقتضاه ان الابصار يحصل بوصول شعاع من البصر الى الجسم المرئی ، وقالوا بعكس ذلك ای ان الابصار يحصل بوصول شعاع من المرئی الى العين ، وكانوا يعرفون نظريات

انعكاس الاشعة وانكسارها ، وقدا كتشف الحسن الشكل المنحنى الذى يأخذه الشعاع فى سيره فى الجو ، وأثبت بذلك اننا نرى القمر والشمس قبل ان يظهرا حقيقة فى الافق ، وكذلك نراهما فى الغروب بعد ان يغيبا بقليل ، ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر الذى نالته الصنائع فى عصرهم ، فقد استفادت منها فنون الزراعة فى اساليب الرى والتسميد ، وتربية الحيوانات ، وسن النظامات الزراعية الحكيمة . وادخال زراعة الارز والسكر والبن ، وقد انتشرت المعامل والصنائع لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن ، وكانوا يذيبون المعادن ويجرون فى عملها على ماحسنوه وهذبوه من صنعها وسبكها واننا لندهش حين نرى فى مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر ، من ذلك ان مذهب النشوء والارتقاء للكائنات العضوية الذى يعتبر مذهبا حديثاً كان يدرس فى مدارسهم ، وقد كانوا ذهبوا منه الى مدى ابعد مما وصلنا اليه وذلك بتطبيقه على الجامدات والمعادن ايضاً . اه

هذا بعض ماحدث به استاذ كلية نيويورك بامريكا (درابر) عن مدنية الاسلام ، وحضارة الاسلام ، وفنون الاسلام ، ومخترعات الاسلام ، وفلسفة الاسلام ، ومصنوعات الاسلام ، وان المسلمين هم اول من وضع الرصد للافلاك ، واخترعوا الكيمياء ، وان العرب هم الذين أسسوا فى مدن أوروبا الحضارة والصناعة ، وكل دواعي المدنية والعمران وان اول مدرسة أنشئت فى أوروبا للطب كان الذى أسسها العرب ، وأول

مرصداً أقيم فى أوروبا ايضاً أقامه العرب. وكان حديثه منحصراً فى الحضارة الاسلامية من الوجهة الفنية ، والظاهر ان بحثه كان على حسب ذوقه حيث انه لم ينظر الى الاسلام من الوجهة الدينية ، كما نظر اليها الكونت هنرى دى كسترى ، والاستاذ كارليل وغيرهما وانما اراد ان يظهر للعالم الغربى ان مدنية العرب التى وصفها جاءتهم عن طريق دينهم الاسلامى وارشاده لهم بالتفكر والعمل فى عموم مواد الحياة الاجتماعية والعمرانية مع ان كثيراً من المسلمين يجهلون تلك الحضارة العظيمة ، والمدنية الضخمة التى اصبحت محل اعجاب الاستاذ (درابر) وغيره ومن المؤسف ان كثيراً ممن ينتسب الى الاسلام يظن ان كل شيء وجد فى الدنيا كان من نتائج اعمال الغرب وحضارة اهله ، مع ان الحقيقة غير ذلك ، وانما بسبب تقاعد المسلمين عن واجبهم الاجتماعي والعمرانى فى العصر الحاضر جعل أمثال هؤلاء الجهلاء بتاريخ الاسلام ، وعمران الاسلام ، ومخترعات أبطال الاسلام . يظنون ان كل حضارة وعمران هو من مبتكرات الغرب وهذا الذى دعانى الى الاستشهاد بأقوال عظماء الغرب وفى مقدمتهم الاستاذ (درابر) حيث انه قد تتبع فى ابحاثه علوم الاسلام الفنية وبالاخص ما كان من الأمة العربية التى كانت قبل اعتناقها للدين الاسلامى أقل عمرانا وتمدنا من فارس ، والروم ، واليونان ، ثم لما اعتنقت الاسلام وسارت على تعاليمه أصبحت بعد برهة من الزمن أرقى الأمم المعاصرة لها ثم تقدمت تقدما مدهشاً حتى صارت هى المؤسسة لمعظم الفنون التى وصلت الينا فى العصر الحاضر عن طريق الغرب ، وكل ذلك كان بارشادات الدين

الاسلامى الذى كان يحثهم على السير فى الأرض ، والعمل بكل مافيه خيرا الدنيا والآخرة ، وذلك فائض فى القرآن المجيد فى كثير من آياته بقوله تعالى ﴿قل سيروا فى الأرض﴾ وقوله تعالى ﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ وهذه الآية تشير الى مايعبر عنه فى العصر الحاضر (بعلم النفس) وقوله تعالى ﴿أولم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض﴾ وقوله تعالى ﴿وهو الذى جعل الشمس ضياءاً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ وهذه الآية تشير الى علم الفلك وغير ذلك من الآت البينات المحرضة على العمل.

فهل والحالة هذه يعتبر الدين الاسلامى عقبة كؤوداً فى سبيل تقدم العالم الاسلامى فى العلوم والمعارف كما يزعم اعدء الاسلام ، فلا وربك لم يكن الاسلام عقبة فى سبيل تقدم المسلمين فى العصر الحاضر ، وانما المسلمون هم العقبة على أنفسهم وهم الذين تقاعدوا فى العصر الحاضر عن دراسة مافيه صلاحهم الدنيوى والأخروى ، فتكاسلهم وتقاعدهم عن القيام بالواجب الدينى هو الذى جعلهم مستعبدين للغرب واذلاء فى أوطانهم ، وجهلاء بمصيرهم . فلا حول ولا قوة الا بالله .

نظرية الاستاذ سنكس

وجاء فى كتاب (الاسلام فى عصر العلم) بصحيفة (٣٦٨) ان الاستاذ (سنكس) كتب فى مجلته الروحية مقالا عنوانه (محمد) ﷺ وهو: ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة ، وكانت وظيفته ترقية عقول

البشر باشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة ، وبارجاعها الى الاعتقاد بآله واحد ، وبحياة بعدهذه الحياة . — ثم قال — : ان الديانة الاسلامية أحدثت رقياً كبيراً جداً فى الفكرة الدينية فى العالم، وخلصت العقل الانسانى من قيوده الثقيلة التى كانت تأسره حول الهيا كل بين يدى الكهان ذوى الصبغ الدينية المختلفة ، نعم ارتقى العقل بواسطة الاسلام للاعتقاد بحياة أخروية ، وهذه العقيدة هى الوازع الأقوى فى محاولات الانسان المادة ، والى الاخبات لاله واحد يستطيع ان يعبده بنفسه بدون مداخلة أحد بينه وبينه ، وان يرتقى فى مصاعد كرامته الى مجال أنواره بدون وساطة الوسطاء ، ولا شفاعة الشافعين من بنى جنسه ، ولقد توصل محمد بمحوه كل صورة فى المعابد ، وابطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق ، والى تخليص الفكر الانساني من عقيدة التجسيد الغليظة التى كانت من لوازم الفكر البشرى فى القرون الخالية ، وأجبر النوع الانسانى بتأثير هذه التعاليم لأن يرجع الى نفسه ويبحث عن الله تعالى خالقه فى أعماق روحه وصميم سره ، ليستطيع أن يرتفع بهذه العقيدة النقية اليه تعالى بواسطة العبادة القلبية المملوءة احتراما وشكراً ومحبة ولقد قصر الناس فى الالتفات الى ذلك الرقى الأدبى الباهر الذى تم بواسطة الديانة الاسلامية ، وقد حصل هذا الرقى بعيداً عنا لدى شعوب يسهل علينا وصفهم بالمتوحشين ظلماً بمجرد كونهم لا يخضعون لأفكارنا ، ولا يقولون بعقائدنا ، ولأنهم أحطمنا فى العلم والفكر ، ولكن مع كل هذا يجب علينا ان نعترف بأن هذه الحركة الدينية قد رقت ولم تزل ترقى الى اليوم

عقول أمم شتى من سكان هذه المعمورة . أما الاسلام فى ذاته فهو فى نظرنا اليوم على شرط تخليصه من كل التعاليم التى ألصقتها به الشعوب الطفلة ، ومن كل الشروح الباطلة التى شرحت بها أقوال النبي (محمد ﷺ) اكبر وأعظم مايدركه الانسان من معنى الدين وتعاليمه فى العلاقات التى يجب ان تكون بين الانسان وخالقه هى اكثر التعاليم انطباقا على نواميس الطبيعة وقوانين العقل الانسانى .

هذا ماقاله الاستاذ (سنكس) عن الدين الاسلامى وكونه هو الذى رقى عقول البشر وانتشلها من القيود الثقيلة التى كانت ماسورة بها حول الهياكل ، ومن قوله المتقدم يعلم انه قد رجح العقائد الاسلامية التى هى عقيدة السلف الصالح ، وبعبارة اوضح العقيدة التى كان عليها النبي ﷺ وأصحابه من بعده ، قبل ان تدخلها بعض آراء المعتزلة ، والمشبهة واهل البدع والخرافات ، حيث هى العقيدة التى خلصت البشر من الواسطة او الوسطاء بين المخلوق والخالق ، وبها قد خلص النبي ﷺ الفكر الانساني من عقيدة التجسيد الغليظة . وقد جاء ذلك صريحاً فى القرآن المجيد فى قوله تعالى ﴿ واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان ﴾ وقوله تعالى ﴿ ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ﴾ وغير ذلك من الآيات الدالة على بطلان الواسطة بين العبد وربه . ومن المؤسف المبكى ان هذا المستشرق عرف ذلك ، ورجح العقائد الاسلامية الصحيحة على العقائد المسيحية مع انه مسيحى المذهب ، وان كثيراً ممن ينتسب الى الاسلام يجهلها ويعتقد خلافها . ويظهر مما تقدم ان الاستاذ (سنكس)

استنتج مقاله هذا من مذهب استحضار الارواح بعد ان طالع بعض كتب العقائد الاسلامية ، ودرس شيئاً عن البعث والنشور ، والحياة البرزخية والحياة الأخروية الأبدية . وهذا العلم الذى هو استحضار الأرواح قد غير كثيراً من عقائد الماديين والطبيعيين فى أوروبا وأمريكا ، وجعلهم يفكرون فى خالق الأرواح ، والروح نفسها ، وكيف بقاؤها فى عالم الوجود ، مع انهم الى الان لم يستطيعوا ان يصلوا الى كشف حقيقة الروح كشفاً فنيا ، ولما اعيتهم الحيلة وأصبحوا مكتوفى الأيدى امام سر الروح بعد ان استعملوا عموم الطرق المادية وفحصوا نظريات علمائهم فى سر الروح ، حيث كلما بنوا بحثهم على نظرية من تلك النظريات ظهر لهم فسادها أخذوا يدرسون سر الروح فى الكتب المقدسة ولم يجدوا بغيتهم الآ فى القرآن المجيد الذى هو كتاب الله المنزل على نبيه العربى محمد ﷺ فى قوله تعالى ﴿ ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى ﴾ فعلموا ان الوصول الى معرفة حقيقة الروح أمر مستحيل على البشر . فهذا الذي جعل المفكرين منهم أن يعتقدوا بوحدانية الله تعالى وانه الخالق والموجد لهذا العالم الكبير ، وان المادة والطبيعة ، هما من مخلوقات الله تعالى وكذلك توصلوا بعد البحث فيما جاء به القرآن المجيد أن هناك أشياء لم يصل العلم الحديث الى حلها ، مثل الملائكة والجن والشياطين ، وغير ذلك من المخلوقات التى لا تدركها الحواس الخمس ، ولا يمكن الوقوف على كنهها الا عن طريق الوحى . وهذا ليس له طريق غير طريق الدين الاسلامى ، وما حدث به نبي الاسلام ، لانه هو الدين الوحيد الذى فيه صفة الله سبحانه وتعالى عما

وصف به نفسه من غير تكييف ولا تأويل ، وهو الذى حدثنا عن بقاء الارواح ، وعدم فنائها ، وانها بعد مفارقة الاجساد تكون على حالتين اما نعيم مقيم ، او عذاب مخلد ، وذلك بقوله تعالى ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ والمراد هنا بالحياة هى حياة الروح البرزخية ، كما قال ﷺ عن أرواح الشهداء انها فى حواصل طيور خضر ترتع فى الجنة .

٢ - نظرية جول لابوم

وجاء فى كتاب (الاسلام دين عام خالد) بصحيفة (٩٥) عن الموسيو (جول لابوم) انه قال: لاجل ان يفهم الانسان تمام الفهم اى دعوة من الدعوات يلزمه اولا الالمام بحال الداعى فى ذاته ، ولاجل ان يقدر قدر دعوته يجب عليه أن يدرس الجهة البشرية التى وجه همته للتأثير فيها هذا هو الغرض من هذه النبذة الوجيزة التى خصصنا بها المشرع العربى — يريد النبي ﷺ — مؤسس ما يمكن تسميته (بالجامعة الاسلامية) حوالى ميلاد محمد فى القرن السادس الميلادى كان جو العالم ملبداً بغيوم الاضطرابات والفتن ، فكان شعب (الويزيغو) الآريين فى اسبانيا وفرانسا الجنوبية يصاولون الملك (كلوفيس) وأولاده الكاتوليكيين فكانوا من أجل ذلك يطلبون مساعدة امبراطور مملكة الرومان الشرقية المدعو (جوستنيان) ثم أجبروا على الدخول معه فى حرب جديدة ، تخلصاً

من سلطة القواد الذين جاؤهم بتلك المساعدة فقد كانوا يزعمون ان لهم حق الفاتحين ، لا مجرد ولاء المساعدين المنجدين . اما فى فرنسا نفسها فكان أولاد كلوفيس هذا متغادرين متسافكين ، وكانت الحروب التى شبت بين المملكة الويزيغوتية (برنهو) والمملكة الفرنكية (فريدجونه) تهيء للتاريخ أشد الصحائف اثارة للأسى والكمد . اما فى (انجلتره) فكان الانجلو ينازعون الساكسونيين الارض التى احتلوها واستعبدوا فيها ذرية (كيميريس) وهم أقدم المغبرين على تلك الجزيرة التى تتطلع اليوم للوقوف فى مقدمة الامم علماً وصناعة وقوة ، وهى التى كانت فى ذلك مجالا للقوة والوحشية السائدة فى تلك الغياهب الحالكة . أما فى (ايطاليا) فكان اسم (الرومان) وهو ذلك الاسم الشامخ ، قد فقد القيمة القديمة ، وكانت رومية وهى الشظية الاخيرة أو رأس ذلك التمثال الكبير المتهشم (يعنى مملكة الرومان) فى حالة تحلها من استحالة أمرها الى مركز دينى بسيط ترتج وتضطرب كلما ألم بها طائف من ذكر عظمتها القديمة ايام كانت مركزاً دينياً أصلياً ، فكانت تهيء نفسها لان تكون مركز البابوية ، وهى تلك السلطة الزمنية كما اقتضت سياسة (سالمانى) ان يجعلها كذلك بعد قرنين من الزمان . اما المملكة (اليونانية) فكانت قد نسيت مجدها القديم فصارت تابعة لمملكة الرومانيين الشرقية مثلها منها كمثل الزينة ذات الضوضاء . وكان شرق أوروبا مقلقاً جنوبها من أول مصاب نهر الرين من جهة الشرق .

واخذ الموسيو (جول لابوم) يصف الاضطرابات ، والاختلالات

السياسية والادارية والاجتماعية ، فى أوروبا وآسيا وافريقية ، وفى جزيرة العرب ، بحالة وحشية فظيعة الى ان قال : فى عهد هذه الاحوال الحالكة ، وفى وسط هذا الجيل الشديد الوطأة ، ولد محمد بن عبدالله فى ٢٩ اغسطس سنة ٥٧٠ ميلادية . اه

هذا ماقاله الموسيو (جول لابوم) عن الاضطرابات والقلاقل التى كانت مستحوذة على العالم أجمع فى ذلك العهد وفى نهاية حديثه قال ولد محمد ابن عبدالله ﷺ ، ولم يذكر شيئاً عن نبي الاسلام ، ولا دين الاسلام ، ولا كتاب الاسلام الذي هو القرآن ، ولا عن حضارة الاسلام ، ولا مدنية الاسلام ولا عن العمران الذى قام به الاسلام فى القارات الثلاث . وربما هنا يعجب القارىء من نقلنا لحديث الموسيو (جول لابوم) الخالى عن وصف الاسلام بشيء مما وصفه به غيره من المستشرقين الذين قد نقلنا شيئاً من نظرياتهم فى الاسلام بهذا الكتاب . فالذى دعانى الى نقل حديثه ماظهر لى انه قصد من ذكره لتلك الاضطرابات والاختلالات ان يظهر لاهل العصر الحاضر الذين يجهلون حالة العالم والممالك التى كانت فى ذلك العصر الذى وجد فيه نبينا محمد ﷺ من الاختلال ، وان وجود النبي العربى محمد ﷺ فى ذلك الحال كان من لطف الله تعالى على ذلك العالم المضطرب الذى غداعتورته الفوضى من جميع انحائه ، فأرسله الله تعالى رحمة للعالمين ليصلح ذلك الفساد ، ويزيل الفوضى من وجه الارض ، ويقودهم بنظام رب العزة جل وعلا ، ليخرجهم من الظلمات الى النور . وهذا مما يثبت قولنا من ان النبي محمداً ﷺ هو الذى جاء بنظام العالم والامم ، وبالمدنية الراقية النقية من كل خلاعة ، ودعارة ، وفوضى ، وتعسف ، وغطرسة

فى الوقت الذى كانت حاجة العالم الى ذلك النبي الكريم شديدة لينقذهم من جحيم الفوضى ، حيث لا نظم عادلة ، ولا تشريع يؤثر ، فكان الامر كما ذكرنا والحال كما وصفنا ، ولم ينكر ذلك الا من أعمى الله بصره وبصيرته .

نظرية الاستاذ جيبون

وجاء فى كتاب (الاسلام دين عام خالد) بصحيفة (١٥٨) نقلا عن الاستاذ (جيبون) المؤرخ الانكليزى المشهور عند ذكره الحماية والرعاية التى بذلها المسلمون للعلوم انه قال : كان من اثر تنشيط الامراء المسلمين للعلم ان انتشر الذوق العلمى فى المسافة الشاسعة التى بين سمرقند ، وبخارا ، الى فارس ، وقرطبة ؛ ويروى عن وزير لاحد السلاطين انه تبرع بمائة ألف دينار لتأسيس كلية علمية فى بغداد ، ووقف عليها خمسة عشر ألف دينار سنويا ، وكان عدد طلبتها ستة آلاف ، لا فرق فيهم بين غنى وفقير .

هذا ماقاله الاستاذ (جيبون) عن تقدم العلم والتعليم فى حالة يقظة المسلمين فى العصور المتقدمة ، وذلك كان عن سخاء الاسخياء ممن كان ذا مال وجاه ، وقد حدثنا التاريخ بأعظم مما ذكره الاستاذ (جيبون) عندما كان المسلمون يجودون بسخاء على المشروعات العلمية ، ومن المؤسف المبكى ان الامر صار فى العصر الحاضر على عكس ما كان فى تلك العصور المنيرة بأهلها ، والمستنيرة بأبطالها ، وأصبح ذلك العمل المجيد حكاية يتلذذ المسلم من سماعها ، ولا نرى من أغنياء المسلمين فى العصر الحاضر من تأخذه الاريحية بنشر العلم والمعارف فى الاقطار الاسلامية اللهم الا بنسبة

واحد فى المليون من المسلمين وهذا ناتج عن تأخر المسلمين فى عموم حالاتهم الدينية والدنوية والاخروية ، ولو ان كل فرد من أغنياء الاسلام فى العصر الحاضر فكر فى نشر العلم وجاد فى سبيل ذلك بنسبة واحد من مائة من أصل ثروته ، لانتشر العلم ، وعم القاصى والدانى ، وزال الجهل ، واصبح كل فرد من افراد المسلمين خصوصاً ممن استفاد من ذلك العلم اما لنفسه ، او لابنه ، لسان شكر وثناء ، وتخلد ذكر ذلك المحسن طيلة بقاء الدنيا ، وله فى الاخرة الجزاء الاوفر ، كما قال تعالى فى سورة (الليل) ﴿فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ واما الذين يضنون بالمال الفائض عن لوازمهم الضرورية فقد قال تعالى فى حقهم ﴿ واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله اذا تردى﴾

نظرية نابليون

وجاء فى كتاب (لماذا تأخر المسلمون) للأمير شكيب أرسلان بصحيفة (٨٢) : وكان نابليون الأول لشدة دهشته من تاريخ الاسلام يقول فى جزيرة سنتيهلانة (ان العرب فتحوا الدنيا فى نصف قرن لاغير) اه

فهذه شهادة من امبراطور فرنسا ، بل امبراطور نصف اوروبا ، والقائد العظيم الذى لم تعرف أوروبا قائداً قبله كان أعظم منه ، مع ان الجيوش التى فتح بها العرب الدنيا فى نصف قرن لم تبلغ عشر معشار تلك الجيوش التى قادها نابليون بنابرت فى تدويخ أوروبا . وذلك لأن أسباب النصر لم تكن منحصرة فى كثرة الجيش أو قلته ، بل ان السبب

الوحيد الذى جعل العرب تفتح الدنيا فى نصف قرن هـو ان الجيوش الاسلامية التى كانت فى جانب القلة بالنسبة للأعداء ، انما كانت تتفوق على خصومها لكونها كانت تقاتل لتكون كلمة الله هى العليا ، ولم يكن ذلك الفتح المبين هو بأسنة الرماح ، او بحد الصارم البتار ، بل بنشر العدل والحرية والمساواة بين طبقات البشر ، ثم بنشر العلم والأمن والسكينة ، ومنع الغطرسة والتعدى من القوى على الضعيف ، فى كل بلدة اواقليم دخله الجيش الاسلامى ، فلذلك كانت الامم تستقبله بصدر منشرح وقلب مطمئن . واما نابليون فكان يقاتل لاجل السيطرة على العالم والتغلب على الممالك . ولذلك نجح العرب ولم ينجح نابليون لأن العبرة بالمقاصد .

نظرية غليوم الثانى

نقلت جريدة الفتح الغراء فى عددها (٤٣٥) عن جريدة المقطم ان مسيو موريس باليولوغ سفير فرانسا الاسبق فى روسيا وعضو الاكاديمية الفرنسية الآن نشر وثيقة تاريخية فى كتاب له عنوانه (غليوم الثاني، ونقولا الثانى) وهى تتضمن كتابا بعث به غليوم الثانى امبراطور المانيا بتاريخ ٩ نوفمبر سنة ١٨٩٨ م الى قريبه نقولا الثانى قيصر الروس يصف له فيه شعوره نحو النصرانية والاسلام عند زيارته بيت المقدس فى ذلك الشهر من تلك السنة وهذا نص الوثيقة التاريخية

« ان القدس هى التى استوقفت نظرى طبعاً بوجه خاص لما فيها من

أماكن كثيرة مقرونة بذكرى مخلصنا (اى السيد المسيح) ومجرد الفكر ان نظره وقع على هذه الاكام ، وأن قدمه وطئت هذه الأرض ، يحرك أوتار القلب ويبعثه على الخفقان بقوة أعظم ، ولكننى مضطر الى الاعتراف باخلاص بأن جميع الأشياء التى رأيتها هنا وهاصلة بالايمان المسيحى لا تساعد مطلقاً على توليد ذلك الشعور . فقد تعددت هنا طوائف ديننا المسيحى وتعددت الكنائس والأديرة التى بنتها . فنشأت عن ذلك منافسة معيبة ، بل نشأ عن ذلك نضال الغرض منه التزاحم على بناء أعلى النواقيس وأجمل الكنائس ، فجاءت غير ملائمة للجهات التى بنيت عليها حتى انه يخيل للمرء أنه فى معرض من الكنائس . ولقد أثر ذلك التنافس فى كهنة الكنائس المختلفة ، ويجد القسوس لذة فى الدس وفى تنظيم المؤامرات السياسية ، وهم يثيرون الاحقاد بدلا من أن يبثوا الحب ويسببون مشاجرات ومنازعات فى الكنائس تحل محل التراتيل الدينية ، والوئام الذى يجب أن يسود الجميع . والأمر من ذلك أنهم ابتكروا عبادة الاحجار والأشجار مع ان ذلك محظور فى الوصية الثانية من الوصايا العشر ، حتى يمكن القول ان هذا الضرب من العبادة حل محل العبادة الالهية . وقد قال لى رجل فرنسوى : اننا فى هذه الاماكن التى يقال عنها مقدسة نعبد الحجارة مع أنه من المتعذر اقامة الدليل على قدسيتها ، أما العبادة الالهية فلا مكان لها هنا . وهذه الاقوال تطابق الحقيقة كل المطابقة ولو أنها مؤلمة جداً لعواطفنا المسيحية ، ولما غادرت الاماكن المقدسة كنت أشعر بخجل عظيم من المسلمين وكنت أقول لنفسى فى قرارة نفسى (لو لم يكن لى دين عند

وصولى من القدس لكنت قد اعتنقت حتما الدين الاسلامى) اه

هذا ماقاله امبراطور المانيا السابق غليوم الثانى عن الاسلام والنصرانية فى خطابه لقيصر الروس السابق نقولا الثانى الذى كان يسمى نفسه ناصر الدين المسيحى والامة المسيحية ، وحامى الصليب ، وكان ذلك الخطاب قبل سبع وثلاثين سنة حين زار غليوم القدس الشريف وهو على عرش المانيا وبيده مقدرات قسم عظيم من أوروبا وتهتز لذكره كثير من الأمم . فكان فى خطابه هذا لقيصر الروس صراحة تامة عن حالة المذهب المسيحى من كونه أصبح عند القساوسة عبارة عن تنافس وتغالب فيما بينهم ، وتعال ببناء الكنائس حتى خرج عن كونه دين عبادة وتقوى واصلاح وهدى وغير ذلك ، حتى سماهم ذلك العاهل الكبير بعبدة الاحجار والأشجار ، وصرح بتفضيل الدين الاسلامى على الدين المسيحى ، مع انه رأى الدين الاسلامى فى حالة تأخر المسلمين وتفككهم وانحلال روابطهم الدينية والاجتماعية ودخول البدع والخرافات فيهم ، ومحاربة الملاحدة والمبشرين لرجال الاصلاح منهم . فكيف لو رأى غليوم الاسلام فى عصر الخلفاء الراشدين وفى عصر الخلفاء الأمويين ، وصدر الخلافة العباسية ، حينما كان سيد العالم أجمع ، فماذا كان يقول ؟ وما تكون درجة موقفه ؟ وكيف يكون اعجابه به ؟ فما اظنه يتردد لحظة فى اعتناقه رغماً عن كونه يدين بالمذهب المسيحى او بغيره ، ورغما عن مركزه العظيم عند رجال الدين المسيحى والأمة المسيحية .

نظر نابليون الى الاسلام من الوجهة الحربية فقال : ان العرب فتحوا الدنيا فى نصف قرن . ونظر غليوم الى الاسلام من الوجهة الدينية فقال :

لولم يكن لى دين لكنت قد اعتنقت حتما الدين الاسلامى . فهذه شهادة عاهلين عظيمين من أعظم ملوك أوروبا للدين الاسلامى من الوجهة الدينية والحربية ، وهى كلمتان وجيزتان من ملكين عظيمين تشمل معانى كثيرة لو اردت أن أشرحهما وأبين معانيهما لحبرت عدة صفحات ، وكما قيل فى المثل (كلام الملوك ملوك الكلام) فتركت للقارئ أن يستنبط منها ماشاء من المعاني بحسب ذوقه وسعة مداركه .

نظرية فولتير

وجاء فى كتاب لماذا تأخر المسلمون بصحيفة (٩٠) عن (فولتير) أنه قال عندما ذكر لديه (لوثير) و(كلفين) كلاهما لا يصلح ان يكون حذاءً لمحمد يريد بقوله هذا ان محمد صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاصلاح مالم يبلغا ادناه مع اعتقاد الكثيرين منهم ان مذهبهما كان فجر أنوار أوروبا . يعنى انهما كانا من اعظم رجال الاصلاح فى أوروبا ، ومع ذلك لم يصلحا ان يكونا حذاء للنبي محمد صلى الله عليه وسلم فى نظر (فولتير) مع انه من اقطاب ملاحدة الغرب .

نظرية موسهايم

وجاء فى كتـاب (غرائب الغرب) للأستاذ كرد على بالجزء الثانى بصحيفة (١٣٩) عن (موسهايم) الجرمانى انه قال : حق علينا ان نقول ان العرب ولا سيما عرب اسبانيا هم اصل ينبوع كل معرفة فى الطب والفلسفة والفلك والتعاليم التى بزغت فى أوروبا منذ القرن العاشر فصاعداً

نظرية الدكتور روزية

وذكر فى صحيفة (١٤٢) انه قال له الدكتور (روزية) رئيس جامعة لوزان فى سويسرا سابقاً : انى طفت بلاد الاندلس ورأيت آثارها الباقية من عهد العرب فاعجبت بها كل الاعجاب ، ومما شاهدته السدود القائمة الى اليوم فى ولاية بلنسية فان أهل هذه الولاية من الاسبان اليوم يعيشون بفضل هندسة مهندسى العرب لهذه السدود ، ولم يتيسر لمدنية القرن العشرين ان تقيم أرقى مما أنشأه ابناء جنسكم فى القرون الوسطى ، ولحسن الحظ لم يقو التعصب الدينى الذى دك كثيراً من المعالم فى أرض اندلس على نسف هذه السدود على وادى الاحمر وغيرها ، والا لهلك اهل ذاك الاقليم عطشاً ، ومن الاسف ان مدنية هذه بعض آثارها تذهب ولا من يبكيها ، فقبح من قضوا عليها ، وأوصلكم الى ما أنتم عليه من الانحطاط

فهذا العالم السويسرى رئيس جامعة لوزان يأسف على ذهاب حضارة العرب ويقول بكل صراحة : ولم يتيسر لمدنية القرن العشرين ان تقيم ارقى منها . ويقول اذناب الالحاد والتبشير : لو وجد محمد ﷺ فى هذا العصر الذى هو عصر العلم والمدنية ماذا كان يصنع ؟ فاذا كان رئيس جامعة لوزان يعجب من صنع بعض المسلمين فى القرون الوسطى ، فما بالك لو ان محمداً ﷺ كان موجوداً فى هذا العصر ، اذاً لصنع بما أرشد به القرآن الذى اهمله المسلمون ، ولاصبح المسلمون بارشاده سادة العالم أجمع كما كانوا فى القرن الاول بعد وفاته ﷺ ، ولأراح اهل الارض من وقاحة أمثال

هؤلاء الذين ملؤا الجو عواءاً بدون جدوى ، لان جهلهم ، وغطرستهم قد علمها حتى بسطاء المسلمين ، وأصبحوا منبوذين من الانسانية ، وملعونين اين ما ثقفوا .

نظرية مستر كنورثي

وجاء فى كتاب (الحديقة) جزء (١١) صحيفة (٦٧) عن مستر (كنورثي) الكاتب البريطانى الشهير انه قال : فى مقالة نشرها فى جريدة (هرالدتريبون) التى تطبع فى نيويورك بامريكا تحت عنوان (ضغط العالم المسيحى ستة قرون على روح الحرية الاسلامية) : عند ماحكم الخلفاء بغداد أداروا أمورهم بروح الحرية ، فارتقت العلوم فى ايامهم ، وازدهرت الحكمة ، حتى اخذ الغرب علومهم عنهم ودرسها فى جامعاته ، وقد بقيت هذه الروح بعد سقوط بغداد ستة عصور كاملة تئن من ضغط العالم المسيحى المستمر عليها .

نظرية هنري لاوس

وجاء فيها ايضاً تحت عنوان (الثقافة الاسلامية) بقلم المستشرق الفرنسي (الموسيو هنرى لاوس) بصحيفة (١٧٠) انه قال : امكن لفريق من المستشرقين ان يقولوا بوجود ثقافة اسلامية عامة ، ابتدأت فى التاريخ بالدعوة الاسلامية الاولى على عهد النبوة ، ثم تكونت فى زمن الخلفاء الراشدين ، والدولة الاموية ثم فى عهد العباسيين ببغداد ، وانتشرت

فى مختلف الاقطار الاسلامية من الشرق الى الغرب — ثم ذكر الشعر الجاهلى ورد على من زيفه الى ان قال : من العناصر التى تتكون منها الثقافة الاسلامية هو العنصر الدينى المحض ، وفى مقدمته (القرآن ، والحديث) وان ما نزل فى مكة من السور والآيات كان تشريعاً دينياً محضاً ، واما ما نزل فى المدينة فيتناول التكوين السياسى والاجتماعى ، ولا غنى للمستشرقين عن دراسة القرآن ، واما الذين لا يفعلون ذلك ولاسيما الذين يظنون ان الاسلام زال نشاطه ، فانهم يعنون بدراسة المسلمين أنفسهم اكثر مما يعنون بدراسة القرآن ، والقرآن لا يزال يفسر بالسنة التى جاءت مبينة لمشكله ومفصلة لمجمله ، وهى تتناول التشريع فى العبادات وغيرها وجميع مايتصل بالحياة اليومية ، ولما انتشر الصحابة فى البلاد بعد الفتوح اخذ الناس عنهم الحديث ، وتناوله القصاص ، ووضع بعضهم احاديث وقصصاً ، فانبرى لهم من العلماء رجال ميزوا بين الصحيح والموضوع ، وردّوا ما دسه الوضاعون ، وكانت نتيجة ذلك تدوين الكتب الستة المعتمدة ، واقول ان التمسك بالسنة من أقوى ما يوجد فى الاسلام ، وان الامام أحمد بن حنبل واتباع مذهبه من أشد المتمسكين بالسنة ، وقال بعض المستشرقين وهو الاستاذ ايغناس غولدزهر : ان تاريخ التطور الفكرى فى الاسلام انما تمثل فى الصراع بين السنة والبدعة ثم قال : نشأت الثقافة الاسلامية فى المدن وامتازت كل مدينة بطبائع واخلاق ، فهنالك البصرة والكوفة . وهنالك المدينة المنورة وبغداد ومدن الاندلس . وبلاد المغرب . التى لاتزال الى الآن من أرقى المدن

الاسلامية . ان وحدة الثقافة الاسلامية تقوم بوحدة العقائد الاسلامية وما كان الانقسام عند المسلمين الا فى الفروع ، واعظم افتراق هو بين أهل السنة والشيعة ، وقد حدث فى هذه الايام تقارب بين الفريقين . ومهما يكن من تأثير العنصر الدينى فى الثقافة الاسلامية فان الاسلام ليس فيه ما يمنع البحث العلمى ، وقد قامت عند المسلمين مدارس مهمة للطب والعلوم ، وجميع المؤرخين فى الاسلام لهم نمط واحد فى ايراد الحوادث والوقائع ، لا كما نفعل نحن الآن بتحليل البيئات والمؤثرات والظروف ماخلا ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون فانه طبق قواعد النقد على التاريخ بكل معانى الكلمة ، وحاول ان يعلل الحوادث التاريخية على ضوء نظرياته الاجتماعية ، ومن مظاهر وحدة الثقافة الاسلامية من جهة الادب والشعر ، فان جميع المسلمين فى المشرق والمغرب يتحدون فى دراسة الشعر العربى ، وهو من أوثق الروابط بين الاقطار الاسلامية ، وعندى ان (اللغة العربية) من اهم دواعى وحدة الثقافة بين المسلمين ، وأهم أسباب تفرق هذه اللغة انها اللغة الرسمية ، ولغة الدين ، ولا بد لاجل فهم القرآن والحديث النبوى من معرفة اللغة العربية معرفة دقيقة . وقال فى تأثير ثقافة الاسلام على أوروبا : من مميزات المستشرقين فى هذه الايام الحاحهم فى البحث عما اقتبسته الأمم النصرانية فى القرون الوسطى من ثقافة الاسلام ولقد كان ملتقى الاديين فى الاندلس ، وصقلية ، وبعض المدن الايطالية كالبندقية وجنوه ، وفى الحروب الصليبية ايضاً حدث احتكاك فى الافكار بين الشرق والغرب ، وان لتأثير الاسلام فى الامم النصرانية

فى القرون الوسطى أشكالا مختلفة ، ويجب علينا الرجوع الى تاريخ العلوم لنقدر ما كان للمسلمين من التأثير على الحركة العلمية فى مدارس الافرنج فى القرون الوسطى ، وان لغتنا الافرنسية لا تزال الى اليوم محافظة على كلمات اقتبستها من لغة العرب ، وفى ذلك لمحة دالة على ماوراءه من اقتباس وتأثير . ثم ذكر أسباب انحطاط المسلمين فى الثقافة فقال : من القرن الخامس عشر الميلادى بدأ الانحطاط فى العالم الاسلامى ، وللمسلمين اهتمام شديد فى البحث عن أسباب هذا الانحطاط ، فنهم من يرى ان الانحطاط ناشىء عن عدول المسلمين عما كان عليه سلفهم فى العصر الاول ومن ذلك سد باب الاجتهاد ، وبعض الاوروبيين يرى ان سبب تأخر المسلمين عدولهم عن البحث فى فلسفة أرسطو ، والذين يقدرون تقدم الالات الميكانيكية فى الغرب يرون ان سبب تأخر المسلمين تقصيرهم فى الأخذ باسباب الصناعة ومجارات الأمم فيها ، وفى الواقع ان المسلمين لم يقتبسوا الطباعة الا فى أزمان متأخرة ، ولو بكروا فى ذلك لكان له الأثر الطيب ، وللثقافة الاسلامية الحاضرة عدت اتجاهات اهمها الحركة السلفية التى يراد منها الرجوع الى بساطة الاسلام الأولى وتحكيم الكتاب والسنة ، وتبتدىء الحركة (بابن تيمية) وتلميذه (ابن القيم) وأظن ان فى الشرق الأدنى طوائف من المسلمين تميل الى هذه الطريقة ، ولاحظت انا بنفسى وجود اتجاه نحو ذلك فى المغرب ، وهناك تيار تفكيرى آخر ينتسب الى السيد جمال الدين الافغانى ، والشيخ محمد عبده ، وهو أقرب تناولا من الأول ، وقد شاهدت ميلا عظيما الى هذا التيار فى

مختلف بلاد الاسلام فى الشرق والغرب . اه

هذا ماقاله الموسيو (هنرى لاوس) المستشرق الفرنسوى من رقى الاسلام وحضارته وتقدمه على سائر الأمم الشرقية والغربية عدة قرون وهو الأستاذ لأوروبا فى العلوم والمعارف والميكانيك والفلسفة وكل شىء وان سبب تأخر المسلمين لكونهم لم يسيروا على سير سلفهم الصالح وهذا قد نبهنا عليه اخواننا المسلمين فى كثير من المواضع فى كتابنا هذا واثبتناه لهم اثباتا عقلياً ونقليا بانه لا سبيل الى نجاحهم الا اذا رجعوا الى الوراء اكثر من ألف عام ، رجعوا الى ماضى مجدهم حينما كانوا قادة الأمم وساداتها فى كل شىء ، ولا يزال كما قلنا غير مرة ان باب الوصول الى النجاح مفتوح على مصراعيه وليس عليهم الا ولوجه .

نظرية ادوار مونتيه

وجاء فى الحديقة جزء (١١) صحيفة (٢٤٢) تحت عنوان (الاسلام ينتشر بنفسه) ان الاستاذ (ادوار مونتيه) مدير جامعة جنيف ألقى محاضرة قال فيها : ان الاسلام دين سريع الانتشار ينتشر من تلقاء نفسه دون اى تشجيع تقدمه له مراكز منظمة ، وذلك لأن كل مسلم مبشر بطبيعته المسلم شديد الايمان وشدة ايمانه تستولى على قلبه وعقله ، وهذه ميزة فى الاسلام ليست لدين سواه ، ولهذا السبب ترى المسلم الملتهب ايمانا يبشر بدينه اينما ذهب وانى حل ، وينقل عدوى الايمان الشديد لكل من يتصل به من الوثنيين ، ولعمرى ان للايمان الاسلامى الشديد اكبر فضل فى نشره

هذا الانتشار السريع ، وفضلا عن الايمان فالاسلام يتمشى مع الاحوال الاجتماعية ، والاقتصادية ، وله قدرة عجيبة على التكيف بحسب المحيط وعلى تكييف المحيط حسب مايقتضيه هذا الدين القوى ، ولاشك فى ان الاسلام يعد من اكبر وسائل تمدين الناس وترقية أحوالهم الاجتماعية والدينية والخلقية والاقتصادية ، الاسلام حضارة قائمة بنفسها رغم انحطاط المسلمين فى فترة من الزمن ، الا انهم الآن ينتبهون مرة ثانية وينشرون المدنية والرقى فى كل انحاء العالم ، ان تأثير الاسلام فى السكان مفيد اكثر من تأثير المسيحية ، فالمسيحية ضعفها ظاهر فى افريقيا ، بينما قوة الاسلام وعظم تأثيره فى الحالة الاجتماعية ، والدينية ، والخلقية والاقتصادية ، ظاهر جلى ، وآخر ملاحظاتى هى ان للاسلام قوة اندماج وملاءمة للاوساط الافريقية ، والاوساط الراقية ، والمدنية العالية ، وليست هذه المزية لاى دين اونظام اجتماعى غيره .

هذا ماقاله الاستاذ (ادوارمونتيه) عن قوة الاسلام وتأثيره فى عموم العناصر ، وان له قوة اندماج وملاءمة للاواسط الراقية والمدنية العالية ، وهى شهادة من مدير جامعة جنيف للاسلام وهو على غير الدين الاسلامى فاذا قايسنا بينه وبين القائلين (ماذا عمل محمد ؟ ولو وجد محمد فى هذا العصر ماذا كان يعمل ؟) نجد ان هؤلاء القائلين بهذا القول لا يصلون الى كعب الاستاذ (ادوار) ولا أوطأ من ذلك ، حيث ان الجاهل اذا رام مباراة العالم فليس له موضع الا الاندحار وانك لاتجد لهؤلاء الاغبياء مبرراً لاقوالهم وانما قدأتوا بمبررات تدل على قوة وقاحتهم

وعظيم جهلهم ، واثبتوا للملأ أجمع انهم احط من الحيوانات العجم ادراكا وفهما وتصوراً .

نظرية الفيلسوف توماس كارليل

هنا أنقل للقارىء ما قاله الفيلسوف توماس كارليل في كتابه (الأبطال) تعريب محمد السباعي في المحاضرة الثانية تحت عنوان (البطل في صورة رسول) قال كارليل : لقد اصبح من اكبر العار على اى فرد متمدن من أبناء هذا العصر ان يصغى الى مايظن من ان دين الاسلام كذب ، وان محمداً خداع مزور ، وآن لنا ان نحارب مايشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة ، فان الرسالة التى اداها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرنا لنحو مائتى مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذى خلقنا ، أفكان أحدكم يظن ان هذه الرسالة التى عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائتة الحصر والاحصار اكذوبة وخدعة ؟ اما انا فلا استطيع اذارى هذا الرأى ابداً ، ولو ان الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول فما الناس الا بله ومجانين ، وما الحياة الا سخف وعبث وأضلولة ، كان الاولى بها ان لا تخلق ، فوا أسفاه ما أسوأ مثل هذا الزعم وما أضعف أهله وأحقهم بالرثاء والمرحمة . وبعد فعلى من أراد ان يبلغ منزلة ما فى علوم الكائنات أن لا يصدق شيئاً البتة من أقوال أولئك السفهاء ، فانها

نتائج جيل كفر ، وعصر جحود والحاد ، وهى دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر وموت الارواح فى حياة الابدان ، ولعل العالم لم ير قط رأيا اكفر من هذا وألأم . وهل رأيتم قط معشر الاخوان ان رجلا كاذبا يستطيع أن يوجد ديناً وينشره ؟ عجباً والله ان الرجل الكاذب لا يقدر ان يبنى بيتاً من الطوب . فهو اذاً لم يكن عليما بخصائص الجير والجص والتراب وماشا كل ذلك فما ذلك الذى يبنيه ببيت . وانما هو تل من الانقاض وكثيب من أخلاط المواد . نعم وليس جديراً ان يبقى على دعائمه اثنى عشر قرنا يسكنه مائتا مليون من الانفس . ولكنه جدير ان تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن . — ثم تكلم عن ولادته ﷺ وعن كفالة جده عبد المطلب ثم عمه ابى طالب وسفره الى الشام ودحض فرية من قال انه تعلم على (بحيرا الراهب) واثبت انه أمى . وذكر شيئاً عن أحوال العرب وأخلاقهم وذهنيتهم الى ان قال : ثم لا ننسى شيئاً آخر وهو انه لم يتلق دروساً على أستاذ أبداً . وكانت صناعة الخط حديثة العهد اذ ذاك فى بلاد العرب ويظهر لى ان الحقيقة هى أن محمداً لم يكن يعرف الخط والقراءة . وكل ما تعلم هو عيشة الصحراء وأحوالها . وكل ما يوفق الى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهد بعينه ويتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية . وعجيب وايم الله أمية محمد . نعم انه لم يعرف من العالم ولا من علومه الا ما تيسر له أن يبصره بنفسه أو يصل الى سمعه فى ظلمات صحراء العرب . ولم يضره ولم يزر به انه لم يعرف علوم العالم لا قديمها ولا حديثها . لانه كان بنفسه غنيا عن كل ذلك . ثم قال : يزعم المتعصبون من النصارى . والملحدون أن محمداً لم

يكن يريد بقيامه الاالشهرة الشخصية . ومفاخر الجاه والسلطان . كلا وأيم الله لقدكان فى فؤاد ذلك الرجل الكبير أفكار غير الطمع الدنيوى ونواياخلاف طلب السلطة والجاه — الى ان قال — أقول ومازالت هذه الخطة المثلى والمذهب الاشرف الاطهر . ومازال الرجل مصيباً وظافراً وحراً وكريماً . وسائراً على المنهج الاقوم . وسالكا سبيل السعادة . مادام معتصما بحبل الله . متمسكا بقانون الطبيعة الا كبر الامكن . غير مبال بالقوانين السطحية . والظواهر الوقتية . وحسابات الربح والخسارة نعم هو ظافر . ثم قال : فمن فضائل الاسلام تضحية النفس فى سبيل الله . وهذا أشرف مانزل من السماء على نبي الارض . نعم هو الله قدسطع فى روح ذلك الرجل فأنار ظلماتها هو ضياء باهر كشف تلك الظلمات التى كانت تؤذن بالخسران والهلاك . وقدسماه محمداً . وحياه جبريل . وأينا يستطيع أن يحدث له اسماً ؟ ألم يجىء فى الانجيل ان وحى الله يهبنا الفهم والادراك . ولاشك أن العلم والنفاذ الى صميم الامور وجواهر الاشياء لسر من أغمض الاسرار لا يكاد المنطقيون يلمسون منه الا قشوره . وقد قال نوفاليس (أليس الايمان هو المعجزة الحقة الدالة على الله؟) فشعور محمد اذ اشتعلت روحه بلهيب هذه الحقيقة الساطعة . بأن الحقيقة المذكورة هى أهم مايجب على الناس علمه لم يك الا أمراً بديهياً ، وكون الله قد أنعم عليه بكشفها له ونجاه من الهلاك والظلمة ، وكونه قد أصبح مضطراً الى اظهارها للعالم أجمع . هذا كله هو معنى كلمة (محمد رسول الله) وهذا هو الصدق الجلى والحق المبين — ثم ذكر ما وقع بين النبي ﷺ وقريش من

المحاورات وتعنتهم لعدم قبول دعوته . وعرض نفسه على القبائل وهجرته الى المدينة . ثم قال: ومن هذه الهجرة يبتدىء التاريخ فى المشرق وهى السنة الخامسة والخمسون من عمر محمد فترون انه كان قد أصبح اذ ذاك شيخاً كبيراً . وكان أصحابه يموتون واحداً بعد واحد ويخلون امامه مسلكا وعراً . وسبيلا قفراً . وخطة نكراء موحشة فاذا هو لم يجد من ذات نفسه مشجعاً ومحركا . ويفجر بعزمه ينبوع أمل بين جنبيه فهيهات ان يجد بارقات الامل فيما يحدق به من عوابس الخطوب ويحيط به من كالحات المحن والملمات . وهكذا شأن كل انسان فى مثل هذه الاحوال . وكانت نية محمد حتى الآن أن ينشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة فقط فلما وجد أن القوم الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته السماوية وعدم الاصغاء الى صوت ضميره وصيحة لبه حتى أرادوا أن يسكتوه فلا ينطق بالرسالة — اى يقتلوه — عزم ابن الصحراء على أن يدافع عن نفسه دفاع رجل ثم دفاع عربى ، ولسان حاله يقول «وأما وقد أبت قريش الا الحرب فلينظروا أى فتيان هيجاء نحن » ثم قال : ولقد قيل كثيراً فى شأن نشر محمد دينه بالسيف ، فاذا جعل الناس ذلك دليلا على كذبه فشدما أخطأوا وجاروا ، فهم يقولون ما كان الدين لينتشر لولا السيف ، ولكن ما هو الذى اوجد السيف؟ هو قوة ذلك الدين وأنه حق ، والرأى الجديد اول ما ينشأ يكون فى رأس رجل واحد فالذى يعتقده هو فرد ، فرد ضد العالم أجمع ، فاذا تناول هذا الفرد سيفاً وقام فى وجه الدنيا فقلما والله يضيع وأرى على العموم ان الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسبما تقتضيه الحال ،

أولم تروا أن النصرانية كانت لا تأنف أن تستخدم السيف أحيانا وحسبكم ما فعل شارلمان بقبائل السكسون . وأنا لا أحفل أكان انتشار الحق بالسيف أم باللسان أم بأية آلة أخرى ، فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار ، لندعها تكافح وتجاهد بأيديها وأرجلها وأظفارها ، فانها لن تهزم الا ما كان يستحق ان يهزم ، وليس فى طاقتها قط أن تفنى ما هو خير منها بل ما هو أحط وأدنى — وهنا أخذ يبرهن بالأدلة الفلسفية والمنطقية والعقلية على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ ويرد على المبشرين والمتغطرسين فرياتهم على الاسلام وفي الاسلام الى ان قال: نحن سمينا الاسلام ضربا من النصرانية ولو نظرنا الى ما كان من سرعته الى القلوب ، وشدة امتزاجه بالنفوس ، واختلاطه بالدماء فى العروق لأيقنا انه كان خيراً من تلك النصرانية التى كانت اذ ذاك فى الشام واليونان وسائر تلك الأقطار والبلدان ، تلك النصرانية التى كانت تصدع الرأس بضوضائها الكاذبة وتترك القلب ببطلانها قفراً ميتاً . ثم قال: نظر محمد من وراء أصنام العرب الكاذبة ومن وراء مذاهب اليونان واليهود ورواياتهم وبراهينهم ومزاعمهم وقضاياهم ، نظر ابن القفار والصحارى بقلبه البصير الصادق ، وعينه المتوقدة الجلية الى لباب الأمر وصميمه ، وقال انما الحق « أن لا اله الا الله وحده لا شريك له خلقنا وبيده حياتكم وموتكم وهو أرأف بكم منكم ، وما أصابكم من شيء فهو خير لكم لو كنتم تفقهون » ان ديناً آمن به أولئك العرب الوثنيون وأمسكوه بقلوبهم النارية لجدير أن يكون حقاً ، وجدير أن يصدق به ، وأن ما أودع هذا الدين من القواعد

هو الشيء الوحيد الذى للانسان أن يؤمن به ، وهذا الشيء هو روح جميع الاديان . ثم قال: لقد جاء الاسلام على تلك الملل الكاذبة والنحل الباطلة فابتلعها . وحق له أن يبتلعها لانه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة. وما كاد يظهر الاسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب. وجدليات النصرانية. وكل ما لم يكن بحق . فانها حطب ميت اكلته نار الاسلام . فذهب والنار لم تذهب. أما القرآن فان فرط اعجاب المسلمين به وقولهم باعجازه هو اكبر دليل على اختلاف الاذواق فى الامم المختلفة . هذا وان الترجمة تذهب بأكثر جمال الصنعة وحسن الصياغة. ولذلك لا عجب اذا قلت ان الاوروبى يجد فى قراءة القرآن اكبر عناء فهو يقرؤه كما يقرأ الجرائد لا يزال يقطع فى صفحاتها قفاراً من القول الممل المتعب ويحمل على ذهنه هضابا وجبالا من الكلام لكن يعثر فى خلال ذلك على كلمة مفيدة • أما العرب فيرونه على عكس ذلك لما بين آياته وبين أذواقهم من الملاءمة ولان لا ترجمة ذهبت بحسنه ورونقه . فلذلك رآه العرب من المعجزات وأعطوه من التبجيل ما لم يعطه أتقى النصارى لانجيلهم . ومابرح فى كل زمان ومكان قاعدة التشريع والعمل والقانون المتبع فى شؤون الحياة ومسائلها. والوحى المنزل من السماء هدى للناس وسراجا منيراً يضيء لهم سبل العيش ويهديهم صراطاً مستقيما ومصدر أحكام القضاة والدرس الواجب على كل مسلم حفظه والاستنارة به فى غياهب الحياة ، وفى بلاد المسلمين مساجد يتلى فيها القرآن جميعه كل يوم مرة يتقاسمه ثلاثون قارئاً على التوالى وكذلك مابرح هذا الكتاب يرن صوته فى آذان الألوف من خلق الله وفى قلوبهم اثنى عشر قرنا فى كل آن.

ولحظة • ويقال ان من الفقهاء من قرأه سبعين ألف مرة اذا خرجت الكلمة من اللسان لم تتجاوز الآذان • واذا خرجت من القلب نفذت الى القلب • والقرآن خارج من فؤاد محمد فهو جدير أن يصل الى أفئدة سامعيه وقارئيه وقد زعم (براديه) وأمثاله انه — أى القرآن — طائفة من الاخاديع والتزاويق لفقها محمد لتكون أعذاراً له عما كان يرتكب ويقترف وذرائع لبلوغ مطامعه وغايته • ولكنه قد آن لنا أن نرفض جميع هذه الأقوال فانى لأمقت كل من يرمى محمداً بمثل هذه الاكاذيب • وما كان ذو نظر صادق ليرى قط فى القرآن مثل ذلك الرأى الباطل • والقرآن لو تبصرون ماهو الا جمرات ذا كيات قذفت بها نفس رجل كبير النفس بعد أن أوقدتها الأفكار الطوال فى الخلوات الصامتات . ثم تكلم عن الزكاة فقال : وفى الاسلام خلة أراها من أشرف الخلال وأجلها ، وهى التسوية بين الناس وهذا يدل على أصدق النظر وأصوب الرأى ، فنفس المؤمن راجحة بجميع دول الأرض ، والناس فى الاسلام سواء ، والاسلام لا يكتفى بجعل الصدقة سنة محبوبة بل يجعلها فرضاً حتماً على كل مسلم وقاعدة من قواعد الاسلام ثم يقدرها بالنسبة الى ثروة الرجل فتكون جزأ من أربعين من الثروة تعطى الى الفقراء والمساكين والمنكوبين . جميل والله كل هذا وماهو الا صوت الانسانية ، صوت الرحمة والاخاء والمساواة . — ثم تكلم عن محاسن الصوم وفوائده ، وعن الجنة والنار والآخرة وحلل ذلك بتحاليل فلسفية الى ان قال : ولقد أخرج الله العرب بالاسلام من الظلمات الى النور ، وأحيي به من العرب أمة هامدة ، فأرسل الله لهم نبياً بكلمة من لدنه ورسالة من قبله

فاذا الخمول قد استحال شهرة والغموض نباهة والضعة رفعة والضعف قوة والشرارة حريقاً ، وسع نوره الأنحاء وعم ضوءه الأرجاء ، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب والشرق بالغرب ، وما هو الا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل فى الهند ورجل فى الأندلس ، وأشرقت دولة الاسلام حقباً عديدة ودهوراً مديدة ، بنور الفضل والنبل والمروءة والبأس والنجدة ورونق الحق والهدى على نصف المعمورة ، وكذلك الايمان عظيم وهو مبعث الحياة ومنبع القوة ، وما زال للأمة رقى فى درج الفضل وتعريج الى ذرى المجد ، مادام مذهبها اليقين ومنهاجه الايمان ألستم ترون فى حالة أولئك الأعراب ومحمدهم وعصرهم كأنما قد وقعت من السماء شرارة على تلك الرمال التى كان لا يبصر بها فضل ، ولا يرجى فيها خير فاذا هى بارود سريع الانفجار ، وما هى برمل ميت ، واذا هى قد تأججت واشتعلت واتصلت نارها بين غرناطة ودهلى ، ولطالما قلت أن الرجل العظيم كالشهاب من السماء ، وسائر الناس فى انتظاره كالحطب ، فما هو الا ان يسقط حتى يتأججوا ويلتهبوا .

هذا بعض ما قاله الفيلسوف (توماس كارليل) الانكليزى فى كتابه الأبطال فى محاضرته الثانية التى ألقاها على جمع عظيم من أبناء بريطانيا ورجالها ، عن نبى الاسلام ودين الاسلام وكتاب الاسلام ، فهل وقف جرثومة الالحاد ذلك الضال المضل الذى قد سمم بعض تلامذة مدارس مصر بتشكيكه والحاده ، وقوله فى (القرآن المجيد) انه كتاب ككل الكتب ، وقوله لتلاميذه الذين رماهم القدر بين يديه : ضعوا القرآن

أمامكم موضع الكتب العادية وانتقدوه بشجاعة • فاذاً صكه العمى ولم يبصر بلاغة القرآن واعجازه ، ألم يسمع قول الأستاذ كارليل فى القرآن وهو رجل انكليزى بعيد عن لغة العرب و بلاغتهم ؟ فاذا كان دأبه تقليد بعض ملاحدة الغرب فلماذا لم يقلد كارليل ؟ نعم انه لم يقلد رجال الاصلاح حيث لم يذق للاصلاح طعما ، وانما يقلد أهل الزيغ والالحاد والضلال والتشكيك ، لأن ذوقه ألف القذارة والمنبوذ من الرأى والقول • أولئك الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم • أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها •

نظرية الدكتور انسباتو

وجاء فى الحديقة فى الجزء الخامس صحيفة (١٦٢) قول الدكتور (انسباتو) الايطالى فى كتابه (الاسلام وسياسة الخلفاء) : ان الكرم العلمى والصدقة الفكرية ، صفتان من صفات الاسلام شأنهما أن تجعلا الأمة العاملة بهذا الدين أهلا لأن تبلغ من الحضارة ذروتها العليا •

نظرية هنردى شامبون

وجاء فى الحديقة فى الجزء السابع صحيفة (٢٤٦) تحت عنوان (الانتصار الهمجى على العرب) قول هنردى شامبون مدير (يڤويارلمنتير) الفرنسوية: لولا انتصار جيش (شارل مارتل) الهمجى على تقدم العرب فى فرنسا لما وقعت فرنسا فى ظلمات القرون الوسطى ، ولما أصيبت بفظائعها ، ولا

كابدت المذابح الأهلية الناشئة عن التعصب الدينى والمذهبي ، ولولا ذلك الانتصار البربري على العرب لنجت اسبانيا من وصمة محاكم التفتيش ولولا ذلك لما تأخر سير المدنية ثمانية قرون ، ونحن مدينون للشعوب العربية بكل محامد حضارتنا فى العلم والفن والصناعة ، مع أننا نزعم اليوم أن لنا حق السيطرة على تلك الشعوب العريقة فى الفضائل ، وحسبها انها كانت مثال الكمال البشرى مدة ثمانية قرون بينما كنا يومئذ مثال الهمجية وانه لكذب وافتراء ماندّعيه من أن الزمان قد اختلف ، وأنهم صاروا يمثلون اليوم ما كنا نمثله نحن فيما مضى •

نظرية المستر ولز

وجاء فى الحديقة فى الجزء السابع أيضاً صحيفة (٢٦٢) تحت عنوان (الاسلام هو المدنية) قول المستر (ولز) وهو أكبر كتّاب الانكليز على الاطلاق وله مؤلفات عدة ، وقد كتب مؤخراً مقالا عن الاسلام وأبدى رأيه فى الدين الحنيف ونقلت مقاله الصحف الانكليزية التبشيرية وانتقدته قال المستر ولز: كل دين لا يسير مع المدنية فى كل طور من أطوارها فاضرب به عرض الحائط ولا تبال به ، لأن الدين الذى لا يسير مع المدنية جنباً الى جنب لهو شر مستطير على أصحابه يجرهم الى الهلاك ، وان الديانة الحقة التى وجدتها تسير مع المدنية أنى سارت هى (الديانة الاسلامية) واذا أراد الانسان أن يعرف شيئاً من هذا فليقرأ (القرآن) ومافيه من نظرات علمية وقوانين وأنظمة لربط المجتمع ، فهو كتاب دينى علمى

اجتماعى تهذيبي خلقى تاريخى ، وكثير من أنظمته وقوانينه تستعمل حتى فى وقتنا الحالى ، وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة . واذا طلب منى أحد القراء أن أحدد له الاسلام فانى أحدده بالعبارة التالية : وهل فى استطاعة انسان أن يأتينى بدور من الادوار كان فيه الدين الاسلامى مغايراً للمدنية والتقدم ؟ كان النبى محمد زراعياً وطبيباً وقانونياً وقائداً ، واقرأ ماجاء فى أحاديثه تتحقق صدق ما أقول ، ويكفى أن قوله المأثور «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع» هو الاساس الذى بنى عليه علم الصحة ، ولم يستطع الاطباء على كثرتهم ومهارتهم ان يأتوا حتى اليوم بنصيحة أثمن من هذه ، والخلاصة فان محمداً كان مجموعة من الحسن والنبوغ والبحث ، وهذا هو التحديد الصحيح الذى يجب على كل مسلم ان يعرفه ثم قال: ان محمداً هو الذى استطاع فى مدة وجيزة لا تقل عن ربع قرن ان يكتسح دولتين من أعظم دول العالم ، وان يقلب التاريخ رأساً على عقب وان يكبح جماح أمة اتخذت الصحراء المحرقة سكناً لها واشتهرت بالشجاعة ورباطة الجأش والاخذ بالثار ، واتباع آثار آبائها ، ولم تستطع الدولة الرومانية أن تغلب الامة العربية على أمرها ، فمن الذى يشك أن القوة الخارقة للعادة التى استطاع محمد أن يقهر خصومه بها هى من عند الله ؟ . اه

ماجاء فى دائرة المعارف البريطانية

وجاء فى رسالة (حقيقة الدين الاسلامى) نقلا عن دائرة المعارف البريطانية المؤلف (١١) موضوع القرآن (ان محمداً وفق فى دعوته اكثر

من اى نبي آخر) ونقل ايضاً عن كتاب (حياة محمد) ان (السر وليم ميور) الناقد الذى لم يناصر الاسلام ونبيه ﷺ أبداً ، قد اعترف بمعجزة الانقلاب العظيم الذى أحدثه النبي ﷺ بقوله: عند ما كان النبي شابا كانت احوال وأطوار جزيرة العرب عقيمة رجعية ولربما لم يكن الاصلاح فى أية فترة أخرى بأصعب مما كان فى ذلك العهد فظهر النبي (ﷺ) واستعد قومه لدين جديد وروحانية جديدة ، وتطاير شرار الانقلاب من كل حدب وصوب فى الجزيرة العربية واستعد القوم لذلك الانقلاب الحديث ، واذا استعرضنا تاريخ جزيرة العرب قبل الاسلام نجد ان الديانة المسيحية لم تحدث خلال خمسة قرون شيئاً يذكر سوى تنصر قليل من الناس فى مختلف الاماكن ، واذا تعمقنا كثيراً فى تاريخ الاديان نرى ان الديانتين اليهودية والنصرانية لم تؤثرا على روح العرب وانما الاعتقادات الاسماعيلية (يعنى ملة ابراهيم ص) هى التى كانت مستولية على أذهانهم ، وحالة جزيرة العرب قبل الاسلام لم تكن صالحة لقبول أى انقلاب دينى أو اجتماعى أو سياسى لأن عبادة الاصنام كانت راسخة فى قلوب العرب وانهم منذ قرون لم يعهدوا أحداً استطاع ان يغير عقيدتهم رغم مساعي نصارى مصر وسوريا

الى هنا نقتصر على ما تقدم حيث لو أردنا أن نستوعب كل ما قاله علماء الغرب المنصفون فى فضائل ومحاسن نبي الاسلام ، ودين الاسلام ومدنية الاسلام ، وحضارة الاسلام ، والتشريع الاسلامى القضائى والمدنى ، لضاق بنا المقام واحتاج الامر الى عدة أجزاء ، حيث أن هذا الامر شائع عند كثير من علماء الغرب الذين تتبعوا الحوادث الاسلامية

السياسية والاجتماعية والادارية وغير ذلك . ولنختم بحثنا هذا بما جاء فى الحديقة بالجزء السابع صحيفة (٢٠٠) تحت عنوان (نصف قرن على الاسلام فى انكلترا) وهى محاضرة القاها الشيخ عبدالله كوليام الانكليزى فى نادى جمعية الشبان المسلمين)

محاضرة الاستاذ عبدالله كوليام

قال الشيخ عبدالله كوليام : منذ ستين عاماً أشار علىّ الاطباء براحة أمضيها فى جبل طارق ، فلما سرت الى هناك ركبت سفينة الى طنجة لمشاهدة بعض البلاد المراكشية ، واتفق انى لما صعدت السفينة رأيت فيها بعض الحجاج من أهل المغرب يغترفون الماء بالدلو من البحر ويتطهرون مبالغين فى النظافة ، ثم اقلعت السفينة وما كادت تغادر الميناء حتى رأيت هؤلاء الجماعة قد اصطفوا للصلاة صفوفاً جميلة وجعلوا يصلون معاً بخشوع وطمأنينة غير مكترثين بتمايل السفينة واضطراب الريح ، ولقد أثر فى نفسى ماقرأته على وجوههم من صدق الايمان فاثارت حالتهم هذه الاهتمام الزائد عندى فى أن أستزيد من المعلومات عن الدين الذى يدينون به وماعتمت أن تعرفت بمسلم يتكلم الانكليزية فكان يلازمنى دائما مدة اقامتى فى طنجة لاسيما بعد ماشعر منى بالرغبة فى معرفة المبادىء التى يدعو الاسلام اليها والروابط التى تربط المسلمين بعضهم ببعض . وفى ذات مساء جلست معه فى مقهى من مقاهى طنجة وكان ثمة رجل اسرائيلى اسمه موسى يعرفه صاحبي المسلم فقال لى صاحبي : أريد أن أضرب لك مثلا يوضح

حقيقة الديانات الثلاث السماوية السائدة فى الأرض وهى الديانات التى نمثلها أنا وأنت وهذا الاسرائيلى ، ان الأنبياء سفراء الله الى الناس يحملون اليهم قواعد الاصلاح ويدلونهم على طريق السعادة ، لهذا جاء آدم ونوح وابراهيم ، وكل الأنبياء بعد ابراهيم ، وقبل أن يفترق الناس الى يهود ونصارى ومسلمين ، كانوا جميعاً على ملة واحدة ، فجاء المسيح عليه السلام . بهداية جديدة أدرك صدقها ونفعها الذين اتبعوا المسيح فانفصلوا عن اليهود ، وكانوا على حق فى انفصالهم هذا لأن المسيحية جاءت مصدقة لما تقدمها ومرشدة الى الطريق الأقوم ، ثم جاء محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لجميع الانبياء قبله ومرشداً الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم بالهداية والارشاد ، فانفصل المسلمون أيضاً وكانوا على حق فى انفصالهم هذا كما كان المسيحيون على حق يوم انفصلوا عن اليهود ، فكما ان المسيحية أفضل من اليهودية لأنها وحى أقرب عهداً من الوحى الاول كذلك الاسلام أفضل من المسيحية واليهودية معاً لانه أحدث الوحى وآخر الديانات وأبقاها . كنت أسمع حديث صديقى وأطيل التفكر فيه ولا أشعر فى نفسى بمعارضة له لأنه كان معقولا ومنطقياً ، فعولت من ذلك الحين على أن أقرأ الاسلام فى كتبه وأن أقرأ ما كتبه عنه العلماء المنصفون ، فقرأت ترجمة سل للقرآن الشريف وقرأت كتاب الأبطال لكارليل وقرأت غيرهما ، وماخرجت من طنجة الا وأنا مستسلم للاسلام مذعن لقوته ، مقر بأنه حق ، وأنه خير الاديان .

ولما رجعت الى انكلترا كان شغلى الشاغل التفكير فى الأسلوب الذى يجب أن أتبعه لادعو الناس الى الاسلام واقنعهم به وأحملهم على الايمان به ، وكنت أعلم أن ماشحنه أعداء هذه الهداية من رؤس الأوربيين عن الاسلام سيحول بينى وبين التفاهم مع الجمهور بطريق المحاضرات أو النشر ، لأن جمهور الانكليز اذا حدثتهم عن الاسلام يظنون انك تحدثهم عن دين وثنى ، والنشر نفسه تحول بيننا وبينه عقبات ، لأن الصحف لا تفتح صدرها لمثل هذه الدعوة ، والناس هناك بالاجمال غير مستعدين للاصغاء الى هذه الدعـوة ثم بدا لى أن أطرق بابا غـير مباشر وهو أن ألتحق بجمعية (النهي عن المسكرات) التى كانت تلقى محاضرات دورية وبالفعل ألقيت فى هذه الجمعية محاضرة موضوعها (المتعصبون، والتعصب) استهللتها بذكر بعض الشخصيات البارزة فى عالم الاختراع والاصلاح الاجتماعى مثل (ستيفنسون) مكتشف القوة البخارية و(ويلبرفورس) المجاهد فى سبيل تحرير الرقيق ، وأتيت على مجمل ما لاقاه كل هؤلاء من المقاومة والاضطهاد والسخرية بما صرفوا له مواهبهم . قلت : وبالرغم من ذلك نرى آثار هؤلاء العظماء واصلاحاتهم فى انتشار ونماء ، وقد استفادت منها الانسانية فوائد عظيمة فاعترفت لهم الأمم كلها بالفضل والعظمة ثم أردفت بذكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقلت : ان هذا المصلح الكبير جاء البشر بالرسالة ودعا الناس الى الخير ، ومع ذلك فقد ناله من الاذى والاضطهاد ما يجده كل مصلح عظيم يعمل على خير الانسانية ، فلما تبين البشر فضله بعد قليل دخلوا فى دينه أفواجا ، وما زالوا كذلك حتى بلغوا الآن مئات

الملايين فى جميع أطراف المعمور ، ثم ذكرت شيئاً من آداب الاسلام والمبادئ والتعاليم التى دعا اليها النبي ﷺ ، فكان هذا الموضوع طريفاً جداً فى نظر الصحفيين الذين كانوا موجودين يسمعون هذه المحاضرة واستأذنونى فى أن يأخذوا خلاصتها فى صحفهم ، فقلت لا ، بل أشترط أن تؤخذ كاملة ، فان لم تنشر كاملة فلا آذن بأخذ شىء منها ، فوافقوا وأخذوا نصها . لكن القسس لما علموا بالأمر أسرعوا الى مديرى الصحف وقالوا لهم : ان المحاضرة فيها دسائس ، وأنها تتضمن الدعوة الى دين وثنى وفيها تحريض المسيحيين على أن يصبأوا عن دينهم ، فوافق مديروا الصحف على حذف ما فى المحاضرة خاصا بمحمد ﷺ ونشروا الباقى ، أما أنا فاعتماداً على ما اتفقت عليه مع مندوبى الصحف أنذرت القوم بأنى سأحاكمهم أمام القضاء على تشويه محاضرتى وطالبتهم بأن يعملوا بما كان الاتفاق عليه فينشروا المحاضرة كاملة والا فالقضاء بينى وبينهم ، فأذعنوا لمطالبته بعد أن أعادا النظر فى المحاضرة ورأوا أن ماقاله القسس مبالغ فيه ، فنشروها كاملة ، وكان لذلك تأثير عظيم لكثرة الأيدى التى تناولت تلك الصحف ولما بلغت هذا النجاح فكرت فى أن يكون لنا فى بلدى (ليفربول) مكان نقيم فيه الشعائر الاسلامية ونلقى فيه المحاضرات ، وبالفعل اخترنا مكانا جعلنا نصفه للعبادة ونصفه للدرس والوعظ والقاء الخطب ، وما كدنا نفتح أبواب هذا البيت الاسلامى حتى صار القسس يدسون لنا الأشرار والمتحمسين من صغار العقول ، وأفادنا هؤلاء القسس بما كانوا يكذبون علينا ويصموننا به من الأمور الباطلة ، فاذا جاءنا المخدوعون بأكاذيبهم

ولم يجدوا شيئاً مما حشيت به رؤسهم يكون لذلك ردفعل حسن جداً ، ومما أوذينا به أن أولئك الأشرار كانوا يلقون الاقذار على المصلين أثناء الصلاة أووقت خروجهم من بيت الله ، وكانوا يرجمون المؤذن بالحجارة وينثرون الزجاج المكسور على سجادات الصلاة ليجرحوا جباهنا وأيدينا وأرجلنا . وفى ذات مساء انتهزوا فرصة وجودنا فى مسجدنا فجاؤا الى درجات السلم ووضعوا أمامها أسلاكا لنعثر بها عند خروجنا فى الليل ، ومن محاسن الصدف أن أحد الاخوان أهدى الى يومئذ عصا وان لم يكن من عادتى أن أحمل العصا ، فحملتها . وبينما أنا خارج من مسجدنا أمام اخوانى أحرك العصا بيدى صدمت عصاى السلك فانتبهت له وللاسلاك الأخرى ووقانا الله شرها وشر أصحابها . ودخلت المسجد مرة أنا واخوانى لالقى عليهم محاضرة فى تفسير آية من القرآن الشريف فرأيت قدسبقنا الى المسجد جماعة قرأت فى وجوههم أنها وجوه غريبة فلم أبال بهم وتلوت آية القرآن الشريف وشرعت أفسرها وأستنتج منها العظات والعبر ، فلما انتهيت من المحاضرة قام أحد أولئك المريبين وأخرج من جيبه حجارة وألقاها فى الارض ثم توجه الى أصحابه وقال لهم : من كان منكم يريد أن يرجم المسلمين بالحجارة التى معه فانا صرت الان مسلماً فارجمونى بها. فألقوها هم ايضاً فى الارض واعلنوا اسلامهم .وهذا الرجل الذى كان رئيساً لهم مالبث اذ اصبح عضدى الايمن ، وقد اختار لنفسه اسم (جمال الدين علي) ولازمنى فى كل رحلاتي التى قمت بها للدعوة الى

الاسلام ، حتى اننا ذهبنا مرة الى بلدة (بيركنهيد) وكان مقرراً ان القى فى جمعية منع المسكرات محاضرة ، فأتيت فى هذه المحاضرة بشئ عن الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم ، فاهتمت سكرتيرة الجمعية بمحاضرتي وطلبت منى أن أشفى غليلها باعطائها معلومات أخرى عن الاسلام ، ثم قالت : ولكن أليس نبي المسلمين هو القائل ان النساء ليست لهن ارواح فلا يدخلن الجنة؟ فاخبرتها بأن هذا من اختلاقات أعداء الاسلام ، واعطيتها المعلومات الصحيحة عن الدين الاسلامى ومبادئه وقواعده ، فأسلمت هذه السيدة وسميت (فاطمة) وأسلم على يدها شقيقتاها وزوجها . وفى احدى المرات كنت ألقى محاضرة فى (ليفربول) وعند الانتهاء تقدم الىّ رجل وطلب ان يرافقنى فى طريقى الى البيت ليحادثنى اثناء الطريق ، وصرنا نتحدث عن الاسلام ، وكانت أسئلته لى وأجوبتى عليها داعية لسرورنا ، فلما بلغت باب المنزل دعوته لشرب الشاى عندى ، وبقينا الى نصف الليل فى حديث الاسلام وشرف منزلته ومبادئه العلمية الصالحة لكل زمان ومكان ، واخيراً قال لى : واذا كان ماتقوله عن الاسلام حقاً فماذا يمنعك من ان تكون مسلماً ؟ فأجبته : انى افتخر بأنى مسلم . فأسلم هو ايضاً وتسمى (جمال الدين بخارى) والآن فان البعض يعتقدون بأن اللورد (هدلى) هو اول لورد انكليزى دخل فى الاسلام ، وليس هذا صحيحاً ، فقد دخل فى الاسلام قبله اللورد (ستنلى اولدرلى) الذى كان يحب ان يدعي بين اخوانه المسلمين باسم (عبد الرحمن افندى) وكان يأتي مسجدنا فيصلى مع اخواننا رغم ما بينهم وبينه من التفاوت العظيم فى المنزلة الاجتماعية . وبلغ

عدد الذين اسلموا من الانكليز بضع مئات .

ثم قال : وعلى ذكر المسجد والمصلين أقول : اذنا كنا متبعين السنة الاسلامية فى ان يصلى النساء صفاً وراء الرجال ، اما مسجد (ووكنج) فترتيبهم فى الصلاة ان يصلى الرجل بين المرأتين ، والمرأة بين الرجلين ، لان أعداء الاسلام يضعون فى أذن المرأة أن الاسلام يريد اهانتها بجعلها تتخلف فى الصلاة وراء الرجل والحقيقة التى لا يمكن انكارها هى ان السنة الاسلامية فى الترتيب هى التى تضمن خلو بال المصلين ، وأنا لا ريب عندى قط فى هذه الحقيقة ، الاسلام يحترم المرأة ويكرمها ويحفظ لها الحقوق المعقولة ، وفيما عدا ذلك فكل ماجاء فيه خاصا بها فمعقول وطبيعى لانه من مقتضيات الفروق الطبيعية بين الجنسين . اه

هذا ماقاله أعلام الغرب من ملوك ، ووزراء ، وأمراء ، وقواد ، وفلاسفة ، ورؤساء مجامع علمية ، وأساتذة فى أعاظم الكليات ، ومن أعاظم المؤرخين ، وأرباب الصحف الكبار السيارة ، وكبار المستشرقين ، من أوروباويين ، وأمريكان ، وكل هؤلاء الاعلام على مذاهبهم المسيحية أو المادية ، أو الطبيعية ، ولم يكن من بينهم من اعتنق الدين الاسلامى غير الشيخ عبد الله كوليام الانكليزى فقط ، مع أن هناك غير من نقلت آراءهم من أعلام الغربيين المنصفين فى هذه العجالة ما يربو على الآلاف ؛ وقد اقتصرت على آراء من تقدم ذكرهم خشية الاطالة . ولم آت هنا بما أتيت لأجل ان أثبت لاخوانى المسلمين محاسن دينهم الحنيف ، بماذكره

اعلام الغرب ! كلا ، ثم ألف كلا ، لان المسلم صحيح الايمان على قناعة تامة من كون دين الاسلام هو الدين الحقيقى الوحيد الصالح لكل زمان ومكان وعصر ومصر ؛ لانه هو دين التوحيد ، والتشريع العادل ، ودين الحضارة والمدنية الراقية ، والعمران البديع ، ودين الفطرة ؛ والفضيلة ، ومكارم الاخلاق . وانما ذكرت ماتقدم عن اعلام الغرب لاظهر للملأ اجمع ان حشرات الالحاد ، واذناب التبشير ، والتشكيك ، اولئك الذين تسموا بأسماء المسلمين ، والذين قد نبذتهم الفضيلة ، والانسانية ، والمتبجحين بقولهم : ماذا عمل محمد ، ولو وجد محمد فى هذا العصر ماذا كان يعمل . انهم ليسوا فى العير ولا فى النفير ، ولم يكونوا من ذوى الرأى والعقل والتفكير ولا يملكون من الادراك ما تملكه (النملة) ولم يفهموا انهم لاقيمة لهم عند المسلمين وانهم احط قدراً من القردة والخنازير كما انهم لم يفهموا لماذا الحد ملاحدة الغرب الذين لم يلحدوا فى مذهب المسيح عليه السلام وانما كان الحادهم منحصراً فيما جاءتهم به القساوسة من الغطرسة والسفسطة والسيطرة على حرية الانسان باسم الدين وجعلوا انفسهم وسطاء بين الخلق والخالق جل وعلا وان بيدهم غفران الذنوب ، والمغفرة والرحمة . وغير ذلك من المختلقات والمفتريات على الرب سبحانه وتعالى وعلى عيسى المسيح عليه السلام ، تلك المختلقات التى لا تنطبق على العقل الصحيح والفكر الثاقب . فربما يكون الحاد الغربيين فى ذلك له وجه معقول . واما هؤلاء الاغبياء الجهلاء بجهلهم المركب فقد قصرت مداركهم عن فهم ما جاء به الاسلام من الهدى ودين الحق

والاصلاح العميم لكافة البشر . فاذا كان قد قصر بهؤلاء الفهم عن ادراك ما كتبه علماء الاسلام عن نبي الاسلام ﷺ ، الم يطلعوا على ما كتبه فلاسفة الغرب المنصفون اولئك الذين قد نقلت عنهم بعض ماتقدم فى نبي الاسلام ومدنية الاسلام ، وان العرب هم اساتذة الغرب فى المدنية والحضارة والعمران حتى فى الميكانيك وعلم الفلك والطب وغير ذلك؟ ان هؤلاء لم يستطيعوا ولن يستطيعوا ان يقفوا على ما يكتبه امثال من تقدم ذكرهم ، لانهم اجراء للمبشرين الغربيين . ولم يخجلوا بعد ان رشقتهم اقلام الكتاب بالنقد الشديد الذى هو كرجم الشياطين . وكشفوا للملأ اجمع عن حقائقهم وماهم منطوون عليه من الخبث والفساد حتى مزقوا ابدانهم وشوهوا وجوههم ، وقد ظهر للناس انهم امثال الشياطين لكونهم يتلذذون باللعن والخزى ، ويعدون ذلك رفعة لهم ، فتراهم يعدون الحطة مكرمة ، والذل عزاً ، والرذيلة فضيلة . لانهم الفوا ذلك . ﴿ فمن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا ﴾ ﴿ وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ﴾ ﴿ أولئك الذين اصمهم الله واعمى ابصارهم ﴾

تم بحمد الله تعالى تأليف هذه العجالة فى يوم الاحد الموافق ٢٨ من شهر شوال سنة ١٣٥٣ بقلم مؤلفه حسين بن عبد الله بن محمد بن سالم بن عمر بن عوض باسلامه آل باداس الكندى الحضرمى المكى . واسأله تعالى ان يمدنى بعنايته . ويجعل هذا الكتاب مفيداً لابناء ملتى وينفع كافة الخلق به انه بالاجابة جدير وعلى ما يشاء قدير .

حسين عبد الله
باسلامه

(ملحوظة) قد وقع غلط فى بعض الالفاظ لا يخفى على فطنة القارىء .

فهرس كتاب الاسلام فى نظر اعلام الغرب